



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي - الأغواط

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة ماستر

الطالبة : فاطمة الكوط



ميدان: اللغة والأدب العربي

شعبة: الدراسات الأدبية

تخصص: أدب عربي قديم

شعر ابن رشيق في ميزان نقده من خلال كتاب العمدة

أعضاء اللجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة
- ميهوب جعيرن	- أستاذ محاضر (أ)	رئيساً.
- سليم حفاصي	- أستاذ مساعد (أ)	مشرفاً ومقرراً.
- بولرياح عثمانى	- أستاذ محاضر (أ)	مناقشاً.

السنة الجامعية: 2018/2017

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

- ❖ أهدي ثمرة هذا العمل خالصا لوجه الله تعالى، وأرجو أن يكون متقبلا.
- ❖ لوالديَّ الكريمين حفظهما الله ورعاهما.
- ❖ إلى إخوتي كلِّ باسمه: مبارك، و سعد، و الصديق، و محمد الحبيب، و الحسين، و ربيعة و إلى صغارهم.
- ❖ إلى زملائي وزميلاتي في العمل.
- ❖ لكل الذين شاركوني درب الدِّراسة وحمل لواء العلم.
- ❖ إلى صديقاتي: حدة، و حبيبة، و عائشة، و فتيحة، و سهام، و خيرة، و حليلة، و بهيجة.
- ❖ إلى كل الأساتذة الذين درَّسوني من الابتدائي إلى الجامعة.
- ❖ إلى مدير المركز الاسلامي .
- ❖ إلى تلاميذي الأعزاء بالمركز الاسلامي.
- ❖ إلى كل من ساهم في إخراج هذه المذكرة من قريب أو من بعيد.

شكر وعرّفان

[رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ
وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ] (سورة النمل، الآية: 19)، فالحمد والشكر لله الذي هدانا
لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وله الحمد في الأولى والآخرة.

إنّ من لم يشكر الناس لم يشكر الله، لذا أتوجه بالشكر إلى:

- الأستاذ المشرف: "سليم حفاصي" الذي أشرف على هذا البحث حتى استقام عوده، وكان نعم المشرف والموجه فجزاه الله عني وعن العلم وطلبته خير الجزاء.
- أساتذتي الذين درسوني في طور الماستر
- جميع أساتذة قسم اللغة والأدب العربي.

مقدمة

لا زال البحث في الشعر وأهله مستمر، وهي عادة في البشر تقفي الأثر وهذا سبيلنا أيضا لتعرف على حقب مَرَّت على الجزائر بصفة خاصة والمغرب العربي بصفة عامة، هي فترات وأزمان شهدت تطورا للبشرية، فكما درسنا للدولة العباسية وما حظيت به من دراسات عدّة وما أُسْم به ذلك العصر الذهبي، في المقابل دولة صنهاجة التي عاشها شاعرنا وناقدا ابن رشيق القيرواني الذي لطالما اشتهر بالنقد لا بالشعر، والدليل على ذلك أنّ أغلب الدراسات قامت على نقده، وخاصة "كتابه العمدة في الشعر ونقده" على أساس أنّه كتاب نقد بحث، ولكن ضمّن ابن رشيق شعره في كتابه واستشهد به في بعض القضايا النقدية والبلاغية، من هذا المنطلق سعيت أن تكون دراستي على شعره وأضعه في ميزان نقده، فوجدت نفسي أمام تساؤلات أهمها:

- هل امثل شعرا ابن رشيق للقضايا النقدية المثارة في كتابه العمدة؟

- ما هي مميزات شعر ابن رشيق؟

ولقد جاءت الخطة حسب طبيعة الموضوع كالاتي:

مدخل: تكلمت فيه عن عصر ابن رشيق إذ تضمّن الفترة التي عاشها ابن رشيق في المسيلة (أشير قديما) ثم القيروان بالإضافة إلى النقد في المغرب العربي وخصائص الشعر المغربي ...

أما الفصل الأول عوّت فيه بابن رشيق وأهم أعماله، ثمّ عرضت كتاب العمدة عرضا موجزا وأعقبته بذكر القضايا النقدية التي يحتويها.

والفصل الثاني هو شعر ابن رشيق في ميزان نقده، صنفته إلى عناصر بحسب الأبواب التي جاءت في كتابه مع المقارنة بين شعره ونقده، لأنّ هذه الأبواب هي التي اختارها ابن رشيق ليقدم شعره، وأمّا بقية القضايا مثل قضية اللفظ والمعنى والموازنات والطبقات وحدّ الشعر والطبع والصنعة، فقد تطرّقت إليها أيضا، ولكن اخترت أبياتا من ديوانه لا من كتاب العمدة وجعلتها في ميزان نقده.

ولقد أتبع المنهج الوصفي والتحليلي، وذلك لعرض الجوانب النظرية مع مراعاة مدى تمثلها تطبيقا.

- أمّا بالنسبة للصعوبات فلا يخلو منها أيُّ بحث، فقد كانت المراجع الخاصة بدراسة شعر ابن رشيق شبه منعدمة.

وممّا دفعني إلى اختيار هذا الموضوع عدّة أسباب من بينها:

-موضوع جديد ولم يتطرق إليه أحد حسب اطلاعنا.

- ما عهدناه في مسارنا الدراسي الجامعي إلقاء الضوء على كل ماهو مشرقى وخاصة الأدب القديم فأردت إلقاء الضوء على التراث المغربي أي شعر ابن رشيق.

إنّ أهداف هذا البحث هي إثراء المكتبة الجامعية، بالإضافة إلى التعرف على صفة شعر ابن رشيق مع مميّزات شعره، ومكانته بين النقاد .

لقد تنوعت المصادر والمراجع بين كتب النقد قديما وحديثا ومجلاّت ومقالات.

وفي الاخير اشكر المشرف الفاضل على توجيهاته وملاحظاته التي ساهمت في اخراج هذا العمل بهذه الحلة.

مدخل: عصر ابن رشيق

- الفترة التي عاشها ابن رشيق في المسيلة.
- الفترة التي عاشها في القيروان.
- الفترة التي عاشها في صقلية.
- النقد المغربي.
- خصائص الشعر المغربي.

عصر ابن رشيق.

إنَّ العصر الذي عاشه ابن رشيق، كان من أزهى العصور في المغرب العربي، وهذا راجع لأسباب وعوامل سياسية واجتماعية، إذ يقال أن الأديب ابن بيته، وهذا الذي جعل من الأدب في المغرب العربي يضاهاى الأدب المشرقي نوعاً لا كما في تلك الحقبة .

إذ يقول د. محمد كامل عويضة¹: "ولم يكن غريباً أن ترى دولة الصنهاجيين على أيام باديس والمعز وقيم تنافس الفاطميين في القاهرة ذلك الاعتزاز بالاستقلال وزهوهم بالحكم ورغبتهم في الظهور أمام منافسيهم بمظهر النّد في شتى مناحي الحياة إلى جانب ما كانوا هم أنفسهم يتمتعون به من حبّ العلم وتذوق الأدب وذلك جميعه هيأ تربة خاصة لقيام حياة علمية وأدبية نامية حيّة في هذه الفترة بتلك البلاد في مدائنها المختلفة كالقيروان والمهدية"

وعلى هذا وجب علينا التّعرف على العصر سياسياً أولاً، لأن المغرب توالى عليه أنظمة كثيرة ومن بينها الفترة التي انتهت إلى زيري ابن مناد رئاسة صنهاجة، إذ عقبه ابنه بلقين ويقول د. محمد طمار في هذا الصدد: "ولقد استطاع أن يحقق وحدة المغرب العربي على نحو لم يوفق إليه حكام العرب قبله، فضرب العملة باسمه، وبجلوسه على عرش إفريقية، انتهى عهد العرب بالملك بالمغرب، واستقل البربر ببلدهم تحت لواء الإسلام."²

وأما بالنسبة للبيئة التي عاشها ابن رشيق كانت بيئة ملهمة لطلب العلم والأدب، والتألق في التّقد والإبداع الشعري، حيث نراه يرحل من "المحمدية" أو "المسيلة" مدينته الأولى، وقد كانت في ذلك العصر مركزاً ثقافياً رائداً، ليأتي "القيروان" التي قال عنها صاحب كتاب "المعجب في تلخيص أهل المغرب"، عبد الواحد المراكشي:

"وكانت القيروان هذه في قديم الزمان قبل أن يخرّبها الأعراب دار علم بالمغرب، إليها ينسب أكابر علمائه، وإليها كانت رحلة أهله في طلب العلم، وقد ألّف النَّاس في أخبار القيروان ومناقبه، وذكر

¹ - الشيخ كامل محمد عويضة - ابن رشيق القيرواني (الشاعر البليغ) - دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان - ط1 1413هـ -

1993م - ص114.

² - محمد طمار - تاريخ الأدب الجزائري - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - ط1 - 1981 - ص69.

علمائه ومن كان به من الزهاد والصالحين والفضلاء المتبتلين كتب مشهورة ككتاب أبي محمد بن عفيف وكتاب زيادة الله.....¹

والى جانب الحركة الدينية واللغوية وجدت الحركة العلمية التي كانت لها هي أيضا مكانة لا بأس بها في المغرب، بحيث ظهرت الفلسفة والمنطق والطب والتنجيم والفلك والرياضيات، وفي هذا الجو العلمي ظهر أبو القاسم بن محرز الذي برز في المناظرة بصفة خاصة، وإسحاق ابن سليمان وابن الجزائر في الطب ويعلي ابن إبراهيم في الفلسفة، والكندي القيرواني في علوم الرياضيات، وهناك غيرهم كثيرون.²

وبالجزائر كانت المدارس والمعاهد والمساجد حافلة بدروس العلم والمجالس العلمية، وكانت المنح والجوائز الدولية توزع على العباقرة وأرباب القرائح المبرزين في كل علم وفن على مثال ما تصنعه الدول الراقية المعاصرة، فازدحم يومئذ على معاهدها الكثير من العلماء والأطباء والشعراء، وأهل الفنون الرياضية والهندسية، وأمّ عواصمها الكثير من جلة علماء الأندلس والشام ومصر والحجاز رغبة منهم في الاطلاع على التبحر عمراتها، والإستفءاء من حضارتها كما استفادت الجزائر منهم بدورها علمهم وثقافتهم الشرقية اللامعة.

ولقد بلغ من إقبال الناس على العلوم يومئذ فكان يجتمع على المدرس الواحد ما ينيف على المائة طالب، ولا فرق في ذلك بين المسلم وغيره، كما قال شارل سيوبوس في كتابه تاريخ الحضارة: "كان أهل بيترا الإيطاليين ينزلون مدينة بجاية في الجزائر، فتعلموا من مصانعها صنع الشمع ومنها ما نقلوه إلى بلادهم أوربا³."

في هذه الفترة تهيأت للجزائر عدة عوامل كان من شأنها أن تعمل على تنشيط الحركة الثقافية بها أعلن (حماد الصنهاجي) إلغاء التشيع، وفرض على الرعية "مذهب أهل السنة" ورضي عنه جميع الفقهاء رجال الدين رفعوا ورفعوا رؤوسهم ونشطوا وقد اشتهر هذا العاهل بتقريب العلماء والأدباء، فمن البديهي أن يتقاطر عليه أهل العلم والأدب.⁴

¹ عبد الواحد المراكشي - تحقيق محمد سعيد العريان "المعجب في تلخيص أهل المغرب" - الكتاب الثالث - ص 441

² - ينظر حنا الفاخوري - تاريخ الأدب في المغرب العربي - دار الجيل - بيروت - ط1-1417هـ/1996م - ص236

³ - ينظر عبد الرحمن الجيلالي بن محمد - تاريخ الجزائر العام - ديوان المطبوعات الجامعية ج1 - ط7 - ص292.

⁴ - ينظر محمد طمار - الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - 1983 - ص120-121.

وابن رشيق حاله حال أدباء عصره فقد نهل من معين العلم، ودخل بلاط المعز فقضى حيناً من عمره هناك وعرف هذا الملك بحبه للعلم والأدب، ويقول د/ عبد العزيز قليلة: " كان المعز بن باديس لا يدخر وسعاً في تجميل بلاطه بمن قدر على جذبهم إليه من العلماء والأدباء وشعراء، قالوا أنه لم يسمع بعالم أو أديب إلا استدعاه إلى قصره، وأغدق عليه من ألوان الحظوة والتشجيع ما يحببه في البقاء عنده، والدخول إلى بلاطه الأدبي له ولما علوا شعراءه أربوا على المائة، فضلاً عن الكتاب والنقاد ممن لم يرزقوا موهبة الشعري". هذا الجو المـُشجع للإبداع والعطاء، ألّف ابن رشيق باكورة كتبه "العمدة".

وقد أهداه إلى الحسن ابن أبي الرجال، وذكر ابن رشيق عنه أنه كان رجل الخطب وفارس الكتب، وأقام سوق العلم والأدب وجعل ذكره باقياً وجسده ساميواً يده من التّصر والتوفيق بما فيه رضا للخالق والمخلوق فضلاً من الله ونعمة، والله عليم حكيم.²

ومن الشعراء والأدباء الذين عاصروا ابن رشيق نذكر أستاذه عبد الكريم النهشلي الذي ولد أيضاً بالمحمدية وابن النحوي صاحب قصيدة المنفرجة المشهورة:

اشتدي أزمة تنفرجي قد آذن ليلك بالبلج

وإبراهيم علي الحصري وابن عيذون اللغوي، وأحمد الأسود القيرواني، وهم أكثر لا يتسع المجال لذكرهم كلهم.

أمّا في صقلية إذا يمنا شطرها رأيناها لا تقل عن شمال إفريقية اهتماماً بالعلوم والآداب، وقد وعى التاريخ وحفلت كتب الطبقات والتراجم بأسماء النابغين منها في التاريخ واللغة والأدب والنحو والفقهاء والحديث أمثال ابن حمديس الصقلي الذي رحل من الجزيرة في ظروف سياسية إلى إفريقية.³ وفي المدرسة اللغوية تخرج ابن القطاع وأبو العرب وعمر ابن خلف بن مكّي الصقلي، ومن ثمّ كانت مدرسة واضحة المعالم لأننا نعرف أصحابها بأعيانهم و بعض آثارهم، ونستطيع أن نتصور مبلغ نشاطهم وخطوط اتجاهاتهم، وقد ضمّ ابن رشيق جهوده إلى جهود هذه المدرسة وقوى فيها الناحية الأدبية

¹ - عبد العزيز قليقة - البلاط الأدبي للمعز ابن باديس - دراسة تاريخية أدبية نقدية - دار الفكر العربي - مدينة نصر القاهرة - ط2 - ص53.

² ينظر - محمد طمار - الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج - ص121.

³ ينظر محمد كامل عويضة - ابن رشيق القيرواني - الشاعر البليغ - ص108.

التقليدية، وبالنسبة إلى الشعر أمره أضيّق صدرا من القيروان لأن صقلية ترى في القيروان منارة تهتدي بأضوائها، وكان التأثير مشرقيا¹

الحياة الأدبية في عصر ابن رشيق:

لقد عرف الأدب في تلك الحقبة أغراضا متنوعة في الشعر، وفنونا نثرية اتّسمت أغلبها بالطابع التقليدي ولكن ظهر التجديد في غرض الرثاء بالإضافة إلى التجديد في الأوزان الشعرية مثل الموشحات، وهذا ما لا نجد في المشرق إذ تميّز به شعراء المغرب والأندلس ومن الأغراض التي ركّز عليها شعراء ذلك العصر على حدّ قول سعد بوفلاحة: " دار الشعر العربي في المغرب حول المدح والهجاء والرثاء والفخر والغزل واللّهو والوصف والشكوى وما إلى ذلك... أما المدح فهو المدح المشرقي بطريقته التقليدية وقوالبه الموروثة وغلوه التّكسي، وأما الرثاء فهو دون رثاء المشاركة عمقا وحكمة وبعد نظر، ولكنه يتجاوز الأشخاص إلى الممالك والمدن وكثيرا ما وقف شعراء المغرب ليكون مدّهم إذا سقطت في حوزة العدو أو حلّت بها مصيبة إذ صدورهم عامرة بالإخلاص لوطنهم، وقلوبهم شديدة التّعلق بكل ذرّة من ترابه فلما خرّب الهالليون مدينة القيروان بكأها بكاءً² "مرا..."²، وأما الفخر فلم يخرج فيه شعراء المغرب عن الأساليب القديمة إلاّ في بعض الاقتصاد في التبجح، وأما الهجاء فقليل عندهم ولم ينصرف إليه الشعراء إلا فيما ندر، والغزل عاجلوه على طريقة جيرانهم الأندلسيين إلاّ أنهم لم يبلغوا شأوهم في الترف المعنوي واللفظي.³

أ-النثر: وأما بالنسبة للنثر فقد تطور وفاقا للبيئة وأحوال الاجتماع والسياسة، وكان في أول أمره وسيلة لنقل الفكر في غير التواء ولا اعوجاج، فجرى على سنن المشرقي القديم، فبرز فن الخطابة وذلك لنشاط الحركة الدينية التي تحث على إتباع المنهج السني، والعزوف عن المنهج الشيعي نظرا لانفصال المغرب عن الدولة الفاطمية، وأما فن الترسل فكان للضرورة الإدارية وقضاء المصالح، وبالنسبة لفن القصص غير

¹ -إحسان عباس -العرب في صقلية - دراسة في التاريخ والأدب - دار الثقافة بيروت لبنانط2 - 1975 ص108

² -سعد بوفلاحة - دراسات في أدب المغرب العربي - منشورات بونة للبحوث والدراسات - ط1 2007م - ص115

³ ينظر -حنا الفاخوري -تاريخ الأدب في المغرب العربي-ص43

موجود بالمغرب في هذا العصر مقارنة بالمشاركة الذين ظهر عندهم ابن المقفع بقصصه على لسان الحيوان وسهل ابن هارون.... الخ

ب- الشعر:

1- جمال الصيغ اللفظية وأناقيتها، وقد برع فيها شعراء المغرب ويرجع ولع هؤلاء بهذا الجمال البلاد الأندلسية والمغربي وافتتاحهم بها بل واعتزازهم أيضا، وقد أفاض الأندلسيون والمغاربة في وصف مظاهر الجمال في بلادهم حتى كان هذا الباب أكبر جزء من شعرهم بعد المدح، وقد وصفوا به الجبال والأشجار والرياض والبساتين والقصور ومجالس اللّهو والغناء، وكافة مظاهر حياتهم ولهذا يكتسي هذا الشعر أهمية تاريخية إلى جانب قيمته الأدبية.¹

2- الإكثار من رثاء الممالك والدول التي تذهب بها الانقلابات المتكررة، وفي هذا الباب تظهر قوة خاصة في الشعر المغربي والأندلسي، وهي قوّة التأثير العميق الصادق ودواوين الشعر مملوءة بهذا النوع وكلّه من عيون الشعر وحسان القصائد، وفي طليعة هؤلاء ابن رشيق القيرواني وابن شرف في رثاء القيروان وابن حمديس في رثاء صقلية وابن الرندي في رثاء الأندلس.

3- براعة شعراء المغرب والأندلس في الملاءمة بين مواضع القصيدة ووزنها، وهو ركن أساسي من أركان الجمال في الشعر وقد عني به نقاد الأدب العربي منذ عهد ابن قتيبة، ولكن شعراء المشرق لم يوفقوا فيه مثل شعراء المغرب والأندلس.

4- ابتكار شعراء الأندلس لأوزان جديدة في الشعر العربي انفردوا بها عرفت بالموشحات.

ج- النقد الأدبي:

لم تكن حركة الشعر قد نضجت وحدها في المغرب بل قد ظهر ونضج إلى جانبها، ومن مستلزمات التّهضبات الأدبية وجود حركة نقد أدبية قويّة بدأت أوّل أمرها نتفا لا قواعد لها في القرن الثاني للهجرة ونضجت في القرن الثالث، وبلغت أوج ازدهارها في القرن الرابع ومنتصف القرن الخامس، ففي القرن

¹د-عبد الله شريط-تاريخ الثقافة في المشرق والمغرب- ص150.

الرابع مثلا نجد عبد الكريم النهشلي ينقد الذوق الأدبي على النحو التالي: "وقد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد، ويستحسن عند أهل غيره ونجد الشعراء الحذاق يقابلون كل زمان بما استجيد فيه، وكثر استعماله عند أهله ألا تخرج من حسن الاستواء وحد الاعتدال وجودة الصنعة، وربما استعملت في بلد ألفاظ لا تستعمل كثيرا في غيره كاستعمال أهل البصرة بعض كلام أهل فارس في أشعارهم ونوادير حكاياتهم".¹

ومن ذلك أيضا إبراهيم الحصري صاحب كتاب زهر الأدب الأدبي، ولعل أعظم حدث في تاريخ النقد الأدبي في العربية هو ظهور كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني ويكفي الحكم على هذا الكتاب، وإعطاء فكرة عن قيمته الأدبية الرفيعة، أن ابن خلدون قد قال عنه: "وهو الكتاب الذي انفرد بهذه الصنعة يعني النقد وأعطائها حقها، ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله...".²، وكتاب العمدة نقد أدبي صميم تناول فيه مؤلفه نقد الشعر عامة، وليس ابن رشيق الوحيد من بين أدباء المغرب الذين اهتموا بهذه الناحية الهامة في أدب اللغة العربية ونعني بها النقد الأدبي بل كان هناك أيضا زميله ابن شرف القيرواني الذي يعد من أدباء المغرب الكبار قد ألّف رسائل الانتقاد، وهو عبارة عن مقامات يتحدث فيها بطلها عن الشعراء المتقدمين والمحدثين، فيصف أحدهم في قول قصير، ويبيّن مزاياه وعيوبه في إيجاز.³

ولكن ابن شرف فضلا عن أسلوبه الذي هو دون أسلوب ابن رشيق لم يصل إلى منزلة ابن رشيق في النقد، ولقد أثارت هذه الحركة النقدية الواسعة كثيرا من القضايا الأدبية التي كانت فيما بعد مسائل نقدية واضحة المعالم والدلالات، وانتهى بها المطاف إلى مصطلحات نقدية كانت هي الأخرى ميدانا لاختلاف النقاد حول تحديد مفهومها، وميلاد مجموعة كبيرة من الآراء النقدية تلك الآراء التي كانت في البداية عامة لم تحتضنها كتب أو رسائل ثم جمعت فيما بعد ودوّنت في مؤلفات نقدية هي أصول ومصادر ومراجع لا غنى عنها لكل باحث أو دارس،⁴ ولقد استطاع المغاربة من نقاد وأدباء وعلى رأسهم ابن رشيق أن يكونوا مدرسة خاصة بهم آنذاك يستقي منها الأجيال وينهلون منها.

¹ د- عبد الله شريط- نفس المرجع ص 131

² عبد الرحمن ابن خلدون- المقدمة- موقع الوراق- المكتبة الشاملة-ص370.

³ ينظر- محمد طمار- تاريخ الأدب الجزائري -ص70

⁴ ينظر- بشير خلدون -الحركة النقدية أيام ابن رشيق المسيلي-ص 35.

الفصل الأول

القضايا النقدية في كتاب العمدة

• حياة ابن رشيق القيرواني.

• كتاب العمدة.

• أهم القضايا النقدية.

في هذا الفصل نتطرق إلى عرض كتاب العمدة، ولكن يجدر بنا أولاً أن نعرّج إلى التعريف بصاحب المؤلف، وأهم مؤلفاته ثمّ الأخذ في ذكر القضايا الموجودة ضمن هذا كتاب.

1- حياة ابن رشيق :

يقول ياقوت الحموي في معجمه "الأدباء" أنّ الحسن ابن رشيق القيرواني مولى الأزد، كان شاعراً أديباً نحوياً لغوياً حاذقاً عروضياً كثير التّصنيف حسن التّأليف وكان بينه وبين ابن شرف الأديب مناقضات ومحادثات، وصنّف في الردّ عليه تصانيف¹، وأمّا الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب يقول أنه فحص وبحث طويلاً في حياة هذا الكاتب المغربي الكبير، فتبيّن له أمران شاع عكسهما عند المتحدّثين عن ابن رشيق:

أولاً: أنّ ابن رشيق ليس من أصل رومي وليس ابن مملوك كما شاع عنه في كتب تاريخ الأدب، وإمّا المرجح أنّه من أصل عربي، لأنّ اسم ابن رشيق هو اسم عربي محض كان شائعاً في القبائل العربية التي انتشرت في أنحاء المغرب.

ثانياً: أنّ مولده لم يكن بالمهدية ولا بالقيروان كما توهم كثير من مؤرخي الأدب بل ولد ونشأ وتعلّم في مدينة المسيلة التي كانت تسمّى آنذاك بالمحمدية².

ولد سنة 390هـ بالمسيلة حيث كان أبوه يحترف صياغة اللّهب، وقد اشتغل الحسن في حرفة أبيه ولكنّه نزع منذ صغره إلى الأدب، ولم يقنع بما قرأه في بلده فنزح إلى القيروان وعمره ستة عشر سنة، وأخذ ينهل من حلقات شيوخها ويختلط بالأدباء والشعراء القيروانيين، وأخذت ملكته الشعرية تتفتّح واشتهر بجودة الخاطر وحسن القرينة حتى إذا كانت سنة 417³هـ، وكان المعز بن باديس قد بنى لنفسه بناء في صبرة إحدى ضواحي المهدية، رأى أن ينشد قصيدة وممّا قاله فيها:

يَا بَنَ الْأَعْمَرِ مَنْ أَكَاجِرِ يَرْسُلَا لَةَ الْأَمْلَاكِ مَنْ قَحَطَانَ
مَنْ كُلِّ أْبْلَجِ أَمْرِ بِلْسَانِهِ يَضُّلُّسِي وَفَوَاضَعَالَتِيحَانَ.

وأعجب المعز بالقصيدة الأولى إبداعاً وافتتاناً فقيّد في ديوانه وأخذ الصّلة منه، فحمل على مركب التّمييز بين أقرانه⁴.

¹ ياقوت الحموي - معجم الأدباء - ص 110-111.

² عبد الله شريط - تاريخ الثقافة في المشرق والمغرب - ص 311

³ محمد طمار - تاريخ الأدب الجزائري القديم - ص 78

⁴ شوقي ضيف "عصر الدول والإمارات" - تاريخ الأدب العربي - ج 9 - دار المعارف - القاهرة ص 227-228

وانتهى به أخيراً إلى الهجرة نحو صقلية، وهي التي استقبلت ابن رشيق فاراً في أثر الشاعر الناقد ابن شرف، فوجدنا نفسيهما في وضع لا يقل سوءاً عن سابقه "الحروب والفتن"، فاقترح ابن شرف على ابن رشيق الهجرة إلى الأندلس حيث ملوك الطوائف فأجابته:¹

مَمَّا يَبْغِي ضُنِّي فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ سَمَاعٌ مُقْتَدِرٌ فِيهَا وَمُعْتَصِدٌ
أَلْقَابُ مَمْلَكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا كَالْهَرِيِّ كَيْ صَوْلَةَ الْأَسَدِ

فرد عليه ابن شرف:

فدارهم ما دمت في أرضهم وارضهم ما دمت في أرضهم

ولقد درس كتاب العمدة في "مازر"، وأن أميرها ابن "متكود" أو "مطكود" تدارسه معه، ووقف القفطي على آثار تلك المدرسة وقد عثر على قبره في صقلية إذ مات في قرية مازر سنة 456هـ بعيداً عن الأرض التي أنجبته وأحبها، وكتب فيها آثاره المختلفة.³

2- أخلاقه.

الملاحظ في آراء الدارسين لأخلاق ابن رشيق أنها مختلفة فيها الشطط واللغط الكثير، فهناك من يصفه بالمجون وضعف النفس وقلة الحيلة وآخر يصفه بحسن الأخلاق والسيرة الطيبة، ولهذا هي آراء متضاربة بين المشاركة والمغاربة فيه.

إذ نجد حنا الفاحوري يقول عنه: "ابن رشيق رجل العبقرية التي قادته إلى شيء من الغرابة الأخلاقية، وابن البيئة التي سيرته في ظل العظماء وذوي السلطان وحملته على ارتياد أماكن اللهو ودور الخمارين، كان مغمور النفس لئلا الجانب وكان مغمور الحسب والنسب يميل إلى التلطي وراء العظماء والأقوياء طلباً للعظمة والقوة، وطلباً للمال الذي طالما بذل ماء الجبين في سبيل الحصول عليه إنه ضعيف النفس شديد الطمع في غير طموح ولا علوهممة، وهو لذلك يتضاءل أمام السلطان ويخضع له خضوع الظل"⁴، وبالنسبة للرأي المغربي نجد د/عبدالله شريط يصفه بأنه نبيل العاطفة، فاضل النفس طاهر الضمير، وقد اشتهر بوفائه وبعاطفته الوطنية وذلك في حالة الحزن التي لازمته بعد خراب القيروان وبقيت معه إلى آخر حياته، وزاد من

¹ عمر بن قينة - أعلام وأعمال - من منشورات اتحاد كتاب العرب - ص 12.

² حسن ابن رشيق القيرواني - أتمودج الزمان في شعراء القيروان - تحقيق محمد العروسي المطوي و بشير البكوش - الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية الجزائر - ص 8.

³ عمر بن قينة - أعلام وأعمال - ص 12.

⁴ حنا الفاحوري - تاريخ الادب في المغرب العربي - ص 238-239.

شعوره بالألم ما آل إليه أمر العرب في أواخر أيامه من تفكك في الدّاخل وضعف نفوذهم في البحر المتوسط فقال في ذلك:¹

لا تعجبنّ لأسي كيف شاب أسي وأعجب لأسود عيني كيف لم يشب.
البحر للروم لا يجري السفين به إلا على غرر، والبُر للعب.

- أمّا د/ عبد الرؤوف مخلوف يصفه بقلّة تدينه من خلال بيتين لابن رشيق فيقول عنه: "ويشهد هذا كلّه بأنّه كانت في الرّجل رقّة، وفي دينه ضعف فهو لا يتحرّج من الإثم ولا يمتنع من أن يصرّح به فيقول:

إني لقيت مشقّة فابعث إليّ بشقّه
كمثل جهك حسناً ومثل ديني قّة²

ولكن نجد ابن دحية الكلبي يقول في هذين البيتين أنّهما من قبيل الدّعابة، إذ يقول: "كان رجلا تلعبه كثير الدّعابة، غير أنّه لم يذمه أحد ولا عابه، كتب إلى بعض الرؤساء: اني لقيت مشقّة.....، فقال له الرئيس: أمّا مثل دينك فلا يوجد إلاّ بوزن أمثال الرّقة ثمّ استحسّن في هذه المداعبة أدبه، فقضى أربه".³

-3- شيوخه .

تأدّب ابن رشيق على يد أبي عبد الله بن جعفر القزاز القيرواني النّحوي اللّغوي،⁴ وقد تتلمذ على يد عبد الكريم النهشلي صاحب كتاب الممتع في الشعر والنّقد، وأبي إسحاق الحصري صاحب زهر الآداب، والشاعر محمد بن محمد التّميمي النّحوي اللّغوي النّسابه التامري أصلاً، القيرواني طلباً للأدب، والنّحوي عبد العزيز خلّوف، وأبي عبد الله عبد العزيز بن سهل الحشني الضّرب وكان مشهوراً بالعلم والنّحو واللّغة⁵

4 - مؤلفاته:

لابن رشيق عدّة رسائل في النشر أشهرها:

- 1- قراضة اللّهب التي عرض فيها السرقات الأدبية، وهو لطيف الجرم "الحجم" كبير الفائدة.
- 2- كتاب "الشذوذ في اللّغة" يذكر فيه كل كلمة شاذة في بابها.

¹ عبد الله شريط - الأعمال الكاملة - ص 8

² عبد الرؤوف مخلوف - ابن رشيق القيرواني - دار المعارف بمصر سنة 1964 م - ص 34.

³ ابن دحية الكلبي - المطرب من أشعار أهل المغرب - موقع الوراق - ص 16.

⁴ ياقوت الحموي - معجم الأديباء - ص 111

⁵ محمد طمار - تاريخ الأدب الجزائري القديم - ص 78-79

- 3- كتاب طراز الأدب.
- 4- كتاب الممادح والمذام.
- 5- كتاب متفق التصحيف.
- 6- كتاب تحرير الموازنة.
- 7- كتاب الاتصال.
- 8- كتاب المنّ والفداء.
- 9- غريب الأوصاف ولطائف التشبيهات لما انفرد به المحدثون.
- 10- كتاب أرواح الكتب.
- 11- كتاب شعراء الكتاب.
- 12- كتاب "المعونة" في الرخص والضرورات.
- 13- كتاب الرياحين وصدق المدائح.
- 14- كتاب معالم التاريخ.
- 15- التوسع في مضايق القول
- 16- كتاب الحيلة والاحتراس.¹

وله شرح على الموطأ للإمام مالك ذكره الإمام اللكنوي في التعليق الممجّد قال عنه: ومنهم ابن رشيق القيرواني المالكي المتوفى سنة 456هـ ذكره صاحب "كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون"²

- كتاب العمدة: (العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ونقده).

لا نكاد أن نفتح كتابا في النّقد الأدبي والبلاغي أو تاريخ الأدب الجزائري القديم إلاّ وتقع أعيننا على آراء ونقد لابن رشيق القيرواني ضمن النّقاد الأعلام الفطاحل الآخرين كقدامة ابن جعفر "نقدالشعر"، والآمدي "الموازنة" والجرجاني وابن طباطبا....، فهو كتاب عظيم الفائدة يضم أربعاً وأربعين باباً في الجزء الأول

¹ أبو العباس شمس الدين احمد ابن محمد ابن أبي بكر ابن خلكان، وفيات الأعيان -تحقيق د- إحسان عباس - دار صادر-بيروت

لبنان- ج2 ص89

²دراسة في كتاب العمدة: موقع allofsoftwar.blogspot.com/2008/07/1.html

جلّها أبواب في الشعر ونقده وأبواب أخرى في البلاغة التي هي علم مقترن بالنقد من حيث الاستعارة والتشبيه والإيجاز والتجنييس والبيان والنظم وباب المخترع والبديع وباب التتبع والإشارة وباب المجاز.

والجزء الثاني من الكتاب يتبعه أيضا أبواب أغلبها في البلاغة وأصول النسب وبيوتات العرب والعتاق من الخيل وأغاليط الشعراء... الخ، و يقول د/محمد طمار: "وهذا الكتاب يدل على بعد غوره في الأدب والنقد، وقد قال ابن خلدون: "أنّ كتاب العمدة هو الكتاب الذي انفرد به بهذه الصناعة وأعطاهها حقّها، وليكتب أحد قبله ولا بعده مثله."¹، ويبدوا أنّه أول ما كتب ابن رشيق إذ يذكر فيه مقدمة على المعز ابن باديس وأنشده بين يديه، وألّفه للسيد أبي المظالم رجل الخطوب وفارس الكتب أبي الحسن عليّ ابن أبي الرجال الكاتب، فإنّ وقع منه بموقع وحلّ من قبوله بموضع الإيرادات ورجا الزيادات....²

ويمكن القول أنّه اتخذ من قدامة إماما في كثير ممّا عرض له بما يتعلق بالشعر في كتابه العمدة لا سيّما في باب الأغراض، كما لم يفته أنّ يقرأ كتاب "البديع" لابن المعتز وتأثر به جدّا وواضح فيما كتب في أبواب البلاغة، ويلفت نظر الباحث أنّه لم يرو عن الأندلسيين اللّهم إلاّ أنّ يكون عن صاحب العقد الفريد على قلّة وندرة، وتعليل ذلك فيما أرى أنّ أهل المغرب كانوا يتخذون من أهل المشرق و علمائه لأنفسهم إماما³.

هذا رأي د/عبد الرؤوف مخلوف وأغلب المشاركة الذين يرون إلى العلماء والشعراء من أهل المغرب أنّهم مجرد ناقلين، وأنّ بضاعتهم ترد إليهم، بينما للمغاربة رأي آخر إذ يقول د/ بشير خلدون: "ولم يكن دور ابن رشيق وهو يعرض لنا هذه الآراء المختلفة رواية ناقلا، وإمّا كان في كل مرّة يتدخل ويعطي رأيه كناقده حصيف متزن، وأديب متميز ذواقة وكشاعر فنان يحسّ⁴،

قال في مقدمة كتابه العمدة: "فقد وجدت الشعر أكبر علوم العرب وأوفر حظوظ الأدب وأحرى أنّ تقبل شهادته، ووجدت الناس مختلفين عن كثير منه يقدمون و يؤخرون، ويقلّون ويكثرون، قد بوبوه أبوابا مبهما ولقبوه ألقابا متّهمة وكلّ واحد منهم ضرب في جهة وانتحل مذهبا هو فيه إمام نفسه، وشاهد

¹ ابن خلدون-مقدمة ابن خلدون-موقع الوراق-المكتبة الشاملة-ص371.

² عبد الرؤوف مخلوف- ابن رشيق القيرواني-ص62.

³ عبد الرؤوف مخلوف- ابن رشيق القيرواني-ص56

⁴ بشير خلدون-نفس المرجع-ص133

دعواه فجمعت أحسن ما قاله كل واحد منهم في كتابه ليكون العمدة في محاسن الشعر وآدابه إن شاء الله تعالى، وعوّلت في أكثره على قريحة نفسي ونتيجة خاطري.¹

وكتاب العمدة كتاب جليل القدر اجتمعت فيه الثقافات العالمية وتمازجت؛ فكان مرآة للحركة النقدية والروح الفلسفية والحياة الاجتماعية التي عرفت لذلك العصر، فهو من ثمّ شاهديّ لما بلغه الفكر الإنساني من التتبع والتّحري وتقصي الحقائق في روح علمية منهجية تتسم بسمة الدقّة، وسعة الآفاق وغزارة العلم والمعرفة... أضف إلى ذلك أنّ ابن رشيّق وقف في هذا الكتاب موقف العالم البعيد النّظر العميق التحليل فبنى الكثير من آرائه على المبادئ الفلسفيّة وعالج الآراء بروح جدلية، وقدّم البراهين الأدلة بطريقة تحليلية وحرص على مدلولات الألفاظ والاصطلاحات، وحدّها وحصّر معانيها بحيث أصبحت بعيدة عن إثارة الشكّ والالتباس.²

- أهم القضايا النقدية في كتاب العمدة:

-1- الشعر:

أول ما افتتح به كتابه في فضل الشعر إذ قال: " وكلام العرب نوعان: منظوم ومنتثور ولكل منهما ثلاث طبقات جيّدة، ومتوسطة ورديدة، فادا اتفق الطبقتان في القدر، وتساوتا في القيمة، ولم يكن لاحدهما فضل الأخرى، كان الحكم للشعر ظاهرا في التسمية لأنّ كل منظوم أحسن من كلّ منتثور من جنسه في معترف العادة"³.

فمن خلال حكمه هذا ندرك أنّ العرب يفضلون الشعر على النثر رغم كثرة النثر وغلبته، ولكن الشعر يعبر عن الوجدان و خلجات النفوس، ولأنّه يعتبر كالسلاح الذي يدافع به الشاعر عن نفسه أو قبيلته، وذلك منذ الجاهليّة كعمر بن كلثوم وعنترة و إليز سالم...، وأما عصر الرسول صلى الله عليه وسلّم كان حسان بن ثابت منافحا عن الإسلام، و أيّده بذلك الرسول صلى الله عليه وسلّم إذ قال: "اهجهم وروح القدس معك"، ويذكر ابن رشيّق من فضائل الشعر أنّ الشاعر يخاطب الملك باسمه، وينسبه إلى الله،

¹ ابن رشيّق القيرواني-العمدة-ص13

² حنا الفاخوري-تاريخ الأدب في المغرب العربي-ص246

³ أبو علي الحسن ابن رشيّق القيرواني-شرح وضبط د عفيف نايف حاطوم-العمدة-دار صادر-بيروت-لبنان-ط1-1424-هـ-2003 م-ص13.

ويخاطبه بالكاف كما يخاطب أقلّ السّوقة فلا ينكر عليه¹....، يقول د/ بشير خلدون: "يبدو أنّ هناك شيئاً في نفس ابن رشيق على الكتاب، لذلك لم يكتف بما ساق من الحجج والبراهين تدور حول أفضليّة الشعر ومزايده، وإنما يضيف باباً آخر سماه " الرد على من يكره الشعر" جسّد فيه مجموعة من الأخبار والنصوص والشواهد منسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلّم وإلى الخلفاء الراشدين والصّحابة رضوان الله عليهم، فقد قال عليه السّلام: "إنما الشعر كلام فمن الكلام خبيث وليّ ب"².

-2- الموازنات والطبقات:

شغل نقاد العرب فترة طويلة من الزمن بهذه القضية، وقد تناقل النّاس أحكام سائرة في تفضيل الشعراء بعضهم على بعض وتقديمهم³.

ولقد أفرد ابن رشيق باباً في الشعر والشعراء، فالشعراء عنده أربع طبقات: جاهلي قديم، ومخضرم وجاهلي ومحدث، ثم جعل المحدثين طبقات أولى وثانية وثالثة...

والشعر أصناف إذ قال " الشعراء أربعة شاعر خنذيذ، هو الذي يجمع شعره رواية الجيّد في شعر غيره، وسئل رحبة عن الفحولة، قال هم الرواة، وشاعر مفلق، وهو الذي لا رواية له إلا أنّه مجود كالخنذيذ في شعره، وشاعر فقط، وهو فوق الرديء بدرجة وهو لا شيء".

والشاعر في نظره له صفات يتحلّى بها لكي يصبح شاعراً فحلاً هي: "أن يشعر بما لا يشعر به غيره، فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه أو استطراف لفظ وابتداعه أو زيادة فيما أحجف فيه غيره من المعاني أو نقص مما أطاله سواه من الألفاظ، أو صرف معنى إلى وجه آخر هو اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة، ولم يكن له إلاّ فضل الوزن، وليس بفضل عندي مع التقصير"⁴.

هذا هو الشاعر الحقيقي في نظر ابن رشيق فإذا أضفنا إلى هذه الرّؤية الفصول التي عقدها في الشاعر الآداب التي ينبغي أن يتحلّى بها أدركنا الأبعاد العميقة والمقاييس الفينّة التي كان ابن رشيق ينشدها في الشعر ويطلب بها الشعراء ذلك أنّ الشاعر الحقّ هو الذي يقدر موقفه، ويهيئ نفسه، ويستعد لقول

¹ ابن رشيق القيرواني - العمدة - ص 13

² بشير خلدون - الحركة النقدية أيام ابن رشيق المسيلي - ص 117.

³ جمال محمد صالح حسن - الجهود النقدية والبلاغية عند العرب حتى القرن السابع الهجري - عالم الكتب الحديث - 2009 - ص 49.

⁴ ابن رشيق القيرواني - العمدة - ص 101.

الشعر حتى ينطلق من أرضية صلبة ومتمينة هي زاده من لثقافة والخبرات"¹، وأهم هذه الشروط أن يكون مبدعا في توليد المعاني الجديدة مع استطراف الألفاظ.

3- حد الشعر:

الشعر بعد النية يقوم على أربعة أشياء، وهي اللفظ والمعنى والوزن والقافية، فهذا هو حد الشعر، لأن من الكلام موزون مقفى، وليس بشعر لعدم القصد الفني، كأشياء اتزنت من القرآن ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما لم يطلق عليه شعر"²

هذه الاصطلاحات درج النقاد على تسميتها بحد الشعر، وهذا الباب أو هذه القضية تعد من أهم القضايا النقدية التي نالت اهتماما كبيرا من طرف النقاد والدارسين، وقد اختلفت وجهات نظرهم حول مدلولاتها فمنهم من أكثر الحديث عن الألفاظ وفضلها عن غيرها، ومنهم من فضل المعاني، ولكن قليلا من درس في إسهاب ظاهري الوزن القافية، والواقع أن اختلافهم هذا راجع حول حقيقة الشعر ومفهومه وذلك تبعا لاختلاف أذواقهم وتفاوت قدراتهم، وتكوينهم الثقافي، وتنوع أحاسيسهم مهولاتهم الوجدانية"³ انتقل ابن رشيق بعد ذلك إلى أركان الشعر المدح والهجاء والنسيب والرثاء وقواعد الشعر أربع: الرغبة والرغبة والطرب والغضب، فمن الرغبة يكون المدح والشكر، ومن الرغبة يكون الاعتذار والاستعطاف، ومن الطرب يكون الشوق وقة النسيب، ومن الغضب يكون الهجاء والعتاب الموجه"⁴

ولقد ذكر آراء مختلفة لأقوال العلماء الذين قبله، ومنهم أستاذه عبد الكريم النهشلي والرماني والجرجاني ودعبل، وآراء مختلفة عن حد الشعر وتعريفه ومعناه بالنسبة لهم.

أما رأيه فهو يرى "أن البيت من الشعر كالبيت من الأبنية قراره الطبع الأرضية"، وسمكه الرواية (سقفه) ودعائمه العلم، وبابه الدربة وساكنه المعنى، ولا خير في بيت غير مسكون، وصارت الأعاريض والقوافي كالموازين والأمثلة الأبنية، أو كالأواحي (جمع نحية) نجبل يدفن في الأرض وتظهر منه حلقة يربط بها"⁵ من خلال قراءتنا لآراء سابقيه الذين ذكرهم، و رأيه ندرك أن هناك شروط خاصة لكل من الشعر والشاعر، فصفات الشاعر الحاذق متعلقة بأسس الشعر الجيد، لأنه إذا لم يتوفر لدى الشاعر الطبع والرواية والدربة، وكل هذا يجمعه المعنى الذي هو بمثابة الروح لابن رشيق لأنه قال وساكنه المعنى، ولا خير في بيت غير

¹ بشير خلدون- الحركة النقدية أيام ابن رشيق المسيلي-ص133.

² ابن رشيق القيرواني- العمدة-ص107

³ بشير خلدون- نفس المرجع-ص133.

⁴ العمدة-ص107

⁵ العمدة-ص109.

مسكون، "وهذا معناه أنّ ابن رشيق أبعد نظرة وأكثر وعياً في فهمه للعملية الشعرة ولقد كان تعريفه للشعر ينطلق من خطين متوازيين:

الشكل بما فيه الألفاظ والأوزان والقوافي التي تشكّل في مجموعها عنصر الموسيقى والمحتوى ويشمل المعاني مهما كانت بسيطة أو معقدة وهي التي تشكّل الخيال والعاطفة وهي نظرية سبق بها النقاد العرب، وحتى الغربيين أنفسهم كانوا ينادون بها، ولا زالوا ينادون بها حتى اليوم"¹، إذ يقول الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه موسيقى الشعر:

"ثم بدأ النقاد في العصور المتأخرة يرون في الشعر أموراً أخرى يعبرون عنها بالصور والأخيلة حيناً، ويصفونها بالعاطفة والانفعال النفسي حيناً آخر..."².

4- اللفظ والمعنى:

أولى ابن رشيق قضية اللفظ والمعنى عناية خاصة تمثلت في إفراده باباً مستقلاً لها في كتاب العمدة حرص فيه على تناولها تناولاً دقيقاً وصاغها صياغة واضحة أعانه عليها استيعابه لآراء سابقه ومعاصره في هذه القضية، كما تمثلت هذه العناية في حرصه على جعل الحديث عن اللفظ والمعنى في طليعة الحديث عن عناصر الشعر الأخرى ومبثوثاً في ثنايا الكثير من أبواب كتابه.

وقد بدأ ابن رشيق حديثه عن اللفظ والمعنى بإظهار قوة الارتباط بينهما، وضرورة تآزرهما وتلازمهما في العمل الفني فذهب إلى صعوبة الفصل بينهما، وفي هذا إدراك منه لمدى تكامل عناصر الفن الأدبي، وصعوبة إرجاع القيمة الفنية والمزية الأدبية إلى أحدهما بمعزل عن غيره من العناصر الفنية الأخرى، لأنّ هذه القيمة إنّما تتبع من تلاحم هذه العناصر وتآلفهما في منظومة إبداعية وفنية³،

وهذا ما تجلّى في كلامه عن اللفظ والمعنى إذ قال: "اللفظ جسم وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه ويقوى بقوته وإذا سلم المعنى واحتل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهجنة عليه، كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعمور وما أشبه ذلك من غير أنّ تذهب الروح، وكذلك يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح، لا تجد معنى يختل إلاّ من جهة اللفظ وجربه فيه على غير الواجب قياساً على ما قدّمت من أدواء الجسوم والأرواح، فإنّ احتل المعنى كلّهُ ويفسد بقي اللفظ مواتا

¹ بشير خلدون- الحركة النقدية أيام ابن رشيق المسيلي-ص135

² إبراهيم أنيس- موسيقى الشعر- مكتبة الأنجلو المصرية- مطبعة لجنة البيان ط2-ص120

³ محمد مصطفى أبو الشوارب- د/أحمد محمد المصري- قضايا الإبداع الفني- دراسات تحليلية في النقد العربي القديم ط- 1 ص54

لا فائدة فيه، وإن كان حسن الطَّلَاوة في الشَّمع، كما أنَّ الميَّت لم ينقص من شخصه شيء في رأي العين، إلاَّ أنَّه لا ينتفع به، ولا يفيد فائدة، وكذلك إن احتل اللَّفْظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى، لأنَّ لا نجد روحا في غير الجسم البتَّة"¹.

تجسَّدت قضية اللَّفْظ والمعنى في فكر ناقدنا أنَّهما متَّحدتان لا فصل بينهما فإنَّ احتلَّ اللَّفْظ كان الشَّعر هجينا ركيكا غير مستحب سماعه تهجره النَّفس وتنصرف عنه، وأمَّا إذا احتلَّ المعنى تلاشى اللَّفْظ وذهبت فائدته، فإذا حُسن المعنى جاد اللَّفْظ .

بعد أن ذكر ابن رشيقي رأيه في قضية اللَّفْظ والمعنى يعطينا آراء النَّاس ومذاهبهم، فيهم من يؤثر اللَّفْظ على المعنى فيجعله هو الغاية إذ يهتمهم فخامة الكلام وجزالته ودلَّ ببعض أشعار العرب كبشار بن برد وابن هانئ الأندلسي وأبو العتاهية إذ قال: "ثمَّ للنَّاس فيما بعد آراء ومذاهب: منهم من يؤثر اللَّفْظ على المعنى فجعله غابته ووكده، وهم فرق: قوم يذهبون إلى فخامة الكلام وجزالته، على مذهب العرب من غير تصنُّع، كقول بشار :

إِأَمَّا غَضَبْنَا غَضْبَةً هُضِرَتْ كَمَا حَجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَّتْ رَهْمًا
إِأَمَّا أَعْرَنَّا سَيْدًا مِنْ قَبِيلَةٍ فَرَمْنَبْرًا صَلَّى عَلَيْنَا وَ سَلَامًا

وهذا نوع أدلُّ على القوَّة، وأشبه بما وقع فيه من موضع الافتخار، وكذلك ما مدح به الملوك يجب أن يكون من هذا النَّحت..."²

ثمَّ انتقل إلى الرأي المناقض له أي من يؤثر المعنى على اللَّفْظ فيطلبون صحة المعنى ولا يباليون هجنة اللَّفْظ وقبحه وخشونته، وبرز في هذا الاتجاه ابن الرومي والمتنبي ومن شاكلهما من أهل الطبعة.

-5- الوزن:

من أهمَّ القضايا التي أثارها ابن رشيقي في كتابه لعمدة بعد باب قضية اللَّفْظ والمعنى وحدَّ الشعر، والمفاضلة بينه وبين النثر باب الأوزان أو موسيقى الشعر إذ قال: "الوزن أعظم أركان حدا لشعر وأولاها به خصوصية وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة إلاَّ أنَّ تختلف القوافي فيكون ذلك عيبا في التقفية لا في الوزن، وقد لا يكون عيبا نحو المخمسات وما شاكلها"³.

¹العمدة-ص111

²العمدة-111

³ابن رشيقي القيرواني -العمدة-ص120.

وقد عمد ابن رشيق في هذا الباب على بعض الاختلافات بين الجوهري والخليل في الأجزاء التي يوزن بها الشعر بالإضافة إلى كيفية تقطيع الأجزاء مع شرحه للزحافات وأنواعها التي تصيب الشعر... الخ.

-6- القافية:

يرى أنّ القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، فلا يكون شعرا حتى يكون له وزن وقافية، وفي حدّ القافية قال: "واختلف النَّاسُ في القافية ماهي؟ فقال الخليل: "القافية حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبل الساكن، والقافية على هذا المذهب وهو الصحيح تكون مرّةً بعض كلمة، ومرّةً كلمتين كقول امرئ القيس: كجلمود صخر حطّه السِّل من علّ.

فالقافية من الياء التي بعد حرف الروي في اللَّفْظ إلى نون "من" مع حركة الميم وهاتان كلمتان، وعلى وزن هذه القافية قوله إذا فيه حميه غلِيَّ حَرِيْل.

ثمّ ذكر آراءً لأبي عمر الجرمي وأصحابه والأخفش، ولكنّه رجّح رأي الخليل، وبعد تعريفه للقافية شرح حروفها وحركاتها وأتبعها بذكر عيوب الشعر، ومما يجب مراعاته في هذا الباب، ويقول أحد الباحثين د/محمد شريف غانم: "وابن رشيق له منهج محدد في استقراء رأي من الذي سبقه فهو يحاوره ويسرد ما قاله مبيناً مواطن القوّة والضعف للرأي الذي سبقه، وكان يبدلي بدلوه ويبيّن الاختلاف، وقليلاً ما يرجح رأياً على آخر؛ وتارة يخطئ العلماء كلّهم في حديثه عن "الإقواء"، وإنّ أغلب آراءه صبّت في الاختلاف على القافية وأهميّتها وتطوّرها، وفي ذلك جاءت مصطلحاته التّسميط والتّصريع والتّجز والقصيد والقافية والقصيد.¹

ويعدّ ابن رشيق أفضل من بيّن مفهوم التّسميط من القدماء، والتّسميط نمط من القصائد متفرق القوافي ومتعقبا بقافية تضمّنه "

مثل قول امرئ القيس، وقيل أنّها أبيات منحولة:

تَوَهَّمْتُ مِنْ هِنْدٍ مَعَالِمَ أَطْلَالِ	عَفَاهُنَّ طُولُ الدَّهْرِ فِي التَّمَنِ الخَالِي.
مَرَابِعٍ مِنْ هِنْدٍ خَلَّتْ وَصَايِفُ	يَصِيحُ بِمَغْزَاهَا صَدَى وَعَوَافِ.

¹ محمد شريف غانم - المصطلح العروضي عند ابن رشيق القيرواني - مجلة مؤتمر التّقد، جامعة اليرموك - الأردن - كتاب المؤتمر 2010 - ص 425-460.

وَغَيْبُهَا هُجُوجُ الرِّيحِ الْعِ وَاصِفٌ وَكُلُّ مِسْفٍ ثُمَّ آخِرَ رَاهِفٍ.

بِأَسَدٍ حَمٍ مِنْ زَوْءِ السَّمَاكِينِ هَطَّالٍ.¹

وهكذا يأتي بأربعة أقسمة على أي قافية شاء، ثم يكرر قسيما على قافية اللام، وربما كان المسمط بأقل من أربعة أقسمة²، وهذا الشكل يقترب كثيرا من شكل الموشحة، وهو بداية - إنصح نسبته لإمرئ القيس - لنظرة العربي نحو تعدد القوافي، وتحدث ابن رشيق عن التصريح الذي هو اعتماد قافيتين في بيت واحد تتساويان بزيادة أحدهما أو من نقص الآخر [يعني العروض والضرب] فيتساويان، وهذا يصنع تأثيرا في السامع مثل قول امرئ القيس:

قَفَزَ بِكَ مِنْ كَذَى وَعُورَفَانَ وَ سَمِعَ عَفَّتْ آيَاتُهُ مِنْذُ أَرْمَانَ.

فتساوت العروض مع الضرب في سائر الأبيات وجاءت القصيدة كلها مقفاة.³

والتقفية: أن يتساوى الجزءان من غير نقص ولا زيادة، فلا يتبع العروض الضرب في شيء إلا في السجع خاصة، مثال ذلك في قوله من [الطويل]:

قَفَزَ بِكَ مِنْ كَذَى رَحِيْبٍ وَمَنْزِلٍ بِسَقَطِ اللَّوِيِّ بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْمِلٍ.

فهما جميعا مفاعلن، إلا أن العروض مقفى مثل الضرب، فكل ما لم يختلف عروض بينه الأول مع سائر عروض أبيات القصيدة إلا في السجع فقط فهو مقفى.

بعد التصريح والتقفية باب الرجز والقصيد، وفي هذا الباب يضرب لنا أمثلة ليبين لنا أنواع الرجز وهي غير المشطور والمنهوك والمقطع، فأما الأول منها نحو أرجوزة عبدة بن الطبيب:

بِأَكْبَنِي بِسُحُوقِ عَوَالِي وَعَلْمُنْ خَجَلٍ مِنْ الْخَبَلِ.

يَلْمُضَنِي فِي حَاجِزِكُرْتِهَا فِي عَصْرِ أَرْمَانَ وَدَهْرٍ قَدْ نَسَلِ. [من الرجز]

¹ ابن رشيق القيرواني - العمدة - ص 154.

² ابن رشيق القيرواني - العمدة - ص 154-158.

³ محمد شريف غانم - المصطلح العروضي عند ابن رشيق "نقد النقد" - مجلة مؤتمر النقد - ص 425-460.

والنوع الثاني نحو قول الآخر:

الْقَلْبُ مِنْهَا مُسْتَرِيحٌ سَلِمٌ وَالْقَلْبُ مِنِّي جَاهِدٌ جَهْدٌ.
[من مجزوء الرجز]

والنوع الثالث قول الآخر:

قَدْ هَاجَ قَلْبِي مَتَلٌ مِنْ أُمَّ عَمَوٍ قَفْرٌ.¹

7- الطبع والصنعة:

لكل عمل أدبي قبل أن يُخلَق في صورته اللَّفْظِيَّة صورة مثالية في نفس الشاعر وذهنه، ويتَّفَق العلماء من قديم الزَّمان على الباعث على هذه الصورة انفعال ما نتيجة وحيٍّ، وقوَّة خفيَّة قالوا عنها شيطان وأثما عروس الشعر.²

واتَّفَق النُّقاد على أنَّ الشعر صنعة، ولكن المطبوع هو الأصل الذي عليه المدار كقول ابن رشيق: "ومن الشعر مطبوع ومصنوع، فالمطبوع هو الأصل الذي وُضِعَ أوَّلًا وعليه المدار، والمصنوع وأن وقع عليه الاسم، فليس متكلفا تكلف أشعار المولدين لكن وقع هذا النوع الذي سمَّوه صنعة من غير قصولاً تعمل، لكن بطباع القوم عفواً، فاستحسنوه ومالوا إليه بعض الميل بعد أن عرفوا وجه اختياره على غيره، حتى صنع زهير الحوليات على وجه التَّنقيح والتَّثقيف يصنع القصيدة ثم يكرر نظره فيها خوفاً من التَّعقُّب بعد أن يكون قد فرغ من سماعها في ساعة أوليلة، وربما رصد أوقات نشاطه فتباطأ عمله لذلك، والعرب لا تنظر في أعطاف شعرها بأنَّه جنس أو تطابق أو تَقَابُل فتترك لفظة للفظة أو معنى لمعنى كما يفعل المحدثون، ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزالته وبسط المعنى وإبرازه وإتقان بُنية الشعر وإحكام عقد القوافي، وتلاحم الكلام بعضه ببعض، حتى عدُّوا من فضل صنعة الحطيئة حَسَنَ نسقه الكلام بعضه على بعض في قوله:³

[من الوافر]

فَلَا وَأَيِّكَ مَا ظَلَمْتُ قُ يُعْر بَأْيَنَ بِنَا الْمَكَامِ حَيْثُ شَأُؤَا

لَاوَأَيِّكَ مَا ظَمْتَعِيرٌ فَيُعْبَرُ حَوْلَهُ نَعْمَ وَشَاءُ

¹ ابن رشيق القيرواني-العمدة ص160-165.

² محمد زغلول سلام-تاريخ النقد الأدبي والبلاغي حتى القرن الرابع الهجري-الناشر منشأة معارف بالإسكندرية-2002-ص52.

³ -ابن رشيق القيرواني-العمدة-ص114-115

فِي بَنِي مُجَدِّ هُوَ يُقِيمُ فِيهَا وَيَمْشِي إِنَّ أُرِيدَ بِهِ الْمَشَاءُ

ندرك من كلام ابن رشيقي أنه لا يميل إلى التّكلف، بل يؤثر الصّنعَة الغير مبالغ فيها كشعر زهير بن أبي سلمى الذي يُنقح قصائده لكي لا يعقّب أحد على أيّ خطأ فيها، وهذه صنعة محمودة عند ابن رشيقي، والصّنعَة المذمومة في نظره هي التّكلف في الصور الفنّيّة وتعمد التّجنيس أو الطباق أو ترك لفظة وإبدالها بلفظة كما فعل المحدثون أيما راج وانتشر في تلك الحقبة في القرن الرابع والخامس الهجري.

9- السّرقات الشعريّة:

يُذمّ ابن رشيقي للسّرقة ويُعرف بها وبأنواعها بما يجوز فيها وما لا يجوز بشكل علمي وتعليمي؛ بحيث يتعرض للمصطلح ويعرّفه بالحدّ والمثال تقريبا للفهم والإفهام من غير إخلال أو تكرار.

يفتح ابن رشيقي دراسته لمفهوم السّرقة الشعريّة بقوله " وهذا باب متّسع جداً لا يقدر أحد من الشعراء أن يدّعي السّلامة منه، وفيه أشياء غامضة إلاّ على البصير الحاذق بالصّناعة، وأخر فاضحة لا تخفى على الجاهل المغفل...".¹

يُبنى هذا القول على مسلمتين نقديتين هما:

أولاً: إنّ الفعل الإبداعي لا يأتي من فراغ ولا يخلق من عدم فهو فعل تراكمي، وحوار مستمر بين المبدعين، وعليه لا يمكن لأيّ شاعر أن يدّعي غير ذلك، ولئن عبّر ابن رشيقي عن هذه المسلّمة بشيء من الاقتضاب والتلميح في العمدة.

ثانياً: أنّ العملية الحوارية بين النّصوص ومبدعيها لا تكون على الوتيرة الواحدة، فقد تكون خفيّة غامضة بحيث لا يكتشفها إلاّ النّاقد الحاذق في صناعته، وقد تكون واضحة للعيان حتّى بالنسبة للجاهل المغفّل وبالنظر إلى هاتين المسلمتين يتبيّن أنّ تفكير ابن رشيقي يُنم عن وعي نقديّ كبير، وبإدراك تام لدور الحوارية في تأسيس العمل الإبداعي للأشكال المختلفة التي تبرز فيها هذه الحوارية لكن بشرط أن يكون الشاعر في ذلك وسيط، فلا يعتمد عليها بشكل كليّ كما لا يطرحها بشكل كليّ.²

¹ - ابن رشيقي القيرواني - العمدة - ص 531.

² محمد فتح الله مصباح - مفهوم السّرقة الشعريّة عند ابن رشيقي - موقع شذرات.

وحديث ابن رشيقي في كتابه العمدة يأتي في ثلاثة أبواب اثنان منهما يعلن مدخلا وتمهيدا لدس السرقات، وهما باب المخترع والبديع وباب الاشتراك، أما الباب الثالث خصصه لدراسة موسعة وهو الباب الأول بتحديد معنى المولد الذي لم يسبق إليه صاحبه كما حدد معنى المولد، وهو الذي يستخرجه شاعر من معنى سابق عليه بزيادة أو بدون زيادة على هذا المعنى والتوليد عنده لا يعد سرقة كما لا يعد اختراعا فهو في منزلة وسطى بينهما.¹

ونجده يذكر لنا أنواعا للسرقة الشعرية منها:

الاصطراف: يقع من الشعر على نوعين أحدهما الاجتلاب، وهو الاستلحاق أيضا، والآخر: الانتحال.

فأما الاجتلاب فنحو قول النابغة الذبياني:

وَصَلُّهُ لَأُخْجِي الْقَدَى وَهُوَ ذَنْبُهَا تَصْفُقُ فُلُوقَهَا حِينَ تَقْطُبُ .

تَمَّزَّيْهَا وَالذَّيْكَ يَدُّ وَصَبَّاحَهُ إِذَا مَرَّ مِنْ عَشِّ ذَوَا فَتَصَوَّبُوا [من الطويل]

فاستلحق البيت الأخير فقال :

وَإِجَانَةَ يَبَّارِ السُّرُورِ كَأَنَّهَا إِذَا غُمِسَتْ فِيهَا الزُّجَاجَةُ كَكُوبِ

تَمَّزَّيْهَا وَالذَّيْكَ يَدُّ وَصَبَّاحَهُ إِذَا مَرَّ مِنْ عَشِّ ذَوَا فَتَصَوَّبُوا

وربما اجتلب الشاعر البيتين على الشريطة التي قدّمت؛ فلا يكون في ذلك بأس، كما قال عمر ذو الطوق:

صَدَّدَتِ الْكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمِّ وَرُ وَكَانَ الْكَأْسُ جُوهَ الرُّيَمِينَا

وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمَّ عَمِّ وَرُ بِصَاحِبِكَ الذِّي لَا تَصْبِحِينَا [من الوافر]

فاستلحقهما عمرو بن كلثوم؛ فهما في قصيدته، وكان عمرو بن العلاء وغيره لا يرون ذلك عيبا، وقد يصنع المحدثون مثل هذا.

الانتحال: عند قول جرير:

¹ محمد مصطفى أبو شوارب، د- أحمد محمود المصري - قضايا الإبداع الفني - ص 130.

إِنَّ الَّذِينَ غَلَّوْا بُلْبُكَ غَادًا وَارُ وَشَلًّا بَعِينِكَ لَا يَزَالُ مَعِينًا

غَيِّضَنَ مَنْ عَبَّ أَتَهَنَ قَوْلُنَ لِي : لَمَّا لَقِيَتْ مِنَ الْهَوَىٰ وَلَقِينَا [من الكامل]

فإن الرواة يجمعون على أنَّ البيتين للـمـمـلـكـ الـسـعـدـي انتحلها جرير، وانتحل أيضا قول طفيل الغنوي :

وَلَمَّا التَّقَى الْحِيَّالْتَيْ تِ الْعَصَى وَمَاتَ الْهَوَىٰ لَمَّا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ [من الطويل]

الإغارة أي يصنع الشاعر بيتا ويخترع معنى مليحا، فيتناوله من هو أعظم منه ذكرا وأبعد صوتا، فيروى له دون قائله، كما فعل الفرزدق بجميل وقد سمعه ينشد:

تَحَمَّرَ النَّاسَ مَا سَرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفًا وَإِنِّي نَحْنُ أَوْمَانًا إِلَى النَّاسِ سَوْفُوا

فقال: متى كان الملك لبني عذرة؟ إنما هو في مضر، وأنا شاعرها، فغلب الفرزدق على البيت، ولم يتركه جميل ولا أسقطه من شعره.¹

وأما الغصب فمثل صنيعه بالشمردل اليربوعي، وقد أنشد في محفل :

لَمَّا بَيْنَ مَنْ لَمْ يَعْطِ سَمًا وَطَاعَةً بَوَيْنَ تَمِيمٍ غَيْرَ حَزِّ الْحَلَاقِمِ [من الطويل]

فقال الفرزدق: والله لتدعنه أو لتدعن عرضك، فقال: خذته لا بارك الله لك فيه. وقد فعل هذا أيضا مع ذي الرمة.

المرادفة: فإن يعين الشاعر صاحبه بالأبيات يهبها له "أي يعينه بإضافة أبيات على نفس القافية في نفس الموضوع المراد"، وقد ذكر لنا أبياتا لجرير مع ذي الرمة.²

وهناك أنواع أخرى لا يسعنا المقام لذكرها كلها هي: الاهتدام، النظر والملاحظة، الإمام، الاختلاس، النقل، الموازنة، المواردة، الالتقاط والتلفيق، والمتبع، ومما يتساوى فيه السارق والمسروق، قال بأنَّ أجَلَّ السَّرَقَاتِ نَظْمَ النَّثْرِ وَحَلَّ الشُّعْرِ.....، وفي كل نوع يذكر شواهدا لكي يفهم القارئ معنى هذه السَّرَقَاتِ.

¹ ابن رشيقي القيرواني - العمدة - ص 532-533-534.

² ابن رشيقي القيرواني - العمدة - ص 533-534-536.

ونجد المباحث البلاغية في كتاب العمدة مثل التشبيه، الاستعارة، الإشارة، التتبع، التجنيس، التردد، المجاز، التكرار، التضمن، الإيجاز.... وكلُّها أبواب قد شرح ابن رشيق فيها وفصّل، واستشهد فيها بشعره كما سنرى في الفصل الثاني.

الفصل الثاني

شعر ابن رشيق في ميزان نقده.

- شعره في باب من وضعه الشعر ورفعته.
- شعره في باب المبدأ والخروج والنهاية.
- شعره في باب التشبيه وبابي التفسير والاقتضاء.
- شعره في باب الاعتذار وباب الوعيد.
- شعره في باب العتاب وباب البلاغة.
- شعره في باب السرقات وما شاكلها.
- شعره في باب الوصف وباب الجوائز والصلوات.
- شعره في قضايا اللفظ والمعنى، حد الشعر، الطبع والصنعة والقافية، الموازنات والطبقات.

تمهيد:

لقد ذكر ابن رشيق، في كتابه "العمدة"، عدّة قضايا نقدية، وجمالية، ترتبط بالقصيدة وبنيتها، سواء على مستوى المضامين، أو الألفاظ والأساليب أو الأخيصة والصور، أو الوزن والقافية. ولقد حاول ابن رشيق أن يتقاطع في نقده مع شعره، بحيث حاول أثناء تقديم آرائه في صناعة الشعر، واستعراض طرق الشعراء الذين تناولهم في قضايا النقدية، أن يشارك بشعره في تمثل هذه المواقف النقدية التي يراها في مسائل الشعر. وهو إجراء عنده عكس منهجيته في التأليف، والنقد. غير أن القبض على هذه التمثلات الشعرية في كتاب العمدة، ووضعها في ميزان نقده قد يقتضي منا:

- تحديد القضية النقدية (الفنية)، التي يناقشها في كتابه.
- استعراض الشواهد الشعرية التي ساقها للتمثيل للقضية التي يناقشها
- تحليل هذه الأشعار الشخصية على ضوء النماذج التي يوردها للشعراء الآخرين، ومحاولة الحكم على شعر ابن رشيق على أساس مقاييسه النقدية.

شعر ابن رشيق في كتابه "العمدة":

تجدد الإشارة إلى أننا حاولنا رصد تمثلات القيرواني الشعرية في كتابه، فأحصينا ذلك في قرابة عشرين باباً، ولا نستطيع الوقوف عليه كله في الدراسة، لذلك وجب علينا:

- اختيار المناسب منها والمشهور، بحدود ما تتطلبه منهجية المقاربة، حفاظاً على توازن هذا الفصل مع الفصل الذي يسبقه.

1-1- شعره في باب من وضعه الشعر ورفعته.

وأول الأبواب هو باب من وضعه الشعر ورفعته قال: "فهؤلاء رفعهم ما قالوه من الشعر فنالوا الرتب، واتصلوا بالملوك وليس بذلك ببدع للشاعر ولا عجيب منه وقد كنت صنعت بين يدي سيدنا عن أمره العالي زاده الله علواً¹

ا لشعري حمن
ب الهم عن نغمس الشجي
ليس به من حرج
ل ما فيه ذها

¹ ابو علي الحسن ابن رشيق القيرواني: الديوان، شرح صلاح الدين المواربي/هدى عودة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص56.

حَلَّ عُقُودِ الحُجَّجِ	بِحُكْمٍ فِي لَطَافَةِ
فِي وَجْهِ عُنْدِ سَمِجِ	كَمْ نَظْرَةٍ حَسَنَهَا
عَنْ قَلْبٍ صَبَّ مِنْضِحِ	وَحِرْقَةٍ بَرْدَهَا
فِي قَلْبٍ قَاسٍ حَرِّجِ	وَوَحْمَةٍ أُوقِعَهَا
عِنْدَ غَزَالِ غَدِجِ	وَحَاجَةٍ يَسَّهَا
مُعَلِّقِ بَابِ الفَرَجِ	وَشَاعِرٍ طَرَحِ
مَنْ مَلَكَ مُتَوَجِّجِ	رَبِّهِ لِسَانَهُ

فعلًا—موا أولادكم عقار طب المهج

وقال الميمني: "وفارس هذا المضمار أبو العباس الناشيء"¹.

وهذا ما نجد على نفس المعنى في باب أغراض الشعر وصنوفه إذ قال ابن رشيق: "قد كنت أردت ذكر هذا الفصل فيما تقدّم من باب عمل الشعر وشحد القريحة له فلم أثق بحفظي له، حتى صححته فأثبتته بمكانه من هذا الباب ومن قول الناشيء الأكبر ابن الأنباري المعروف بابن شرشير:² [البحر الكامل]

الشعر ما قومت زيغ صدوره وشدت بالتّهذيب أسر متونه

ورأيت بالإطناش شعب صدوعه وفتحت بالإيجاز عور عيونه

وجمعت بين قريه وبعيده ووصلت بين مجمه و معينه

فإذا بكيت الديار وأهلها أجزيت للمحزون ماء شؤونه

وإذا مدحت به جوادا ماجدا وفيته بالشكر حق ديونه

أصفيته بنفسه وورصينه وخصصته بخطيره وثمينه

فيكون جزلا في اتساق صنوفه ويكون سهلا في اتّفاق فنونه

فإذا أردت كناية عن رتبة باينت بين ظهوره و بطونه

في هذين البابين حاول ابن رشيق أن يعرب في الشعر عن طريق قوله وأقوال غيره من الشعراء في هذا

المضمار، وفي البيت الأخير يقول: فعلموا أولادكم عقار طب المهج

¹ عبد العزيز الميمني -النتف من شعر ابن رشيق وزميله ابن شرف القيروانيين -المطبعة السلفية ومكتبتها القاهرة-1343هـ ص 19

² ابن رشيق القيرواني-العمدة ص35.

وهذا ترغيب في تعليم الصغار الشعر كقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "علموا أولادكم الشعر"، والملاحظ في كلام شاعرنا أنه يقر بأن هناك من هو أحسن شعرا منه مثل العباس الناشيء وأكده الميمني، وابن رشيق يقول أن الشعر يرفع بصاحبه أعلى الترتب وهذا ما حصل معه إذ نال الحظوة والمكانة العالية عند المعز.

1-2- شعره في باب المبدأ والخروج والنهاية.¹

قال: "إن الشعر قفل أوله مفتاحه، وينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره، فإنه أول ما يقرع السمع وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة، وليجنب "الأ" و"قد" و"خليلي"، فلا يستكثر منها في ابتدائه، فإنها من علامات الضعف والتكلمان إلا على القدماء الذين جروا على عرق، وعملوا على شاكلة، وليجعله حلوا سهلا، وفخما جزلا..."، في هذا الباب يكثر الشواهد الشعرية لشعراء أصابوا الابتداء ومنهم من أخطأ، فالذي يعجب شاعرنا ماجاء به امرؤ القيس: [من الطويل]

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وهو عندهم أفضل ابتداء صنع شاعر، لأنه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في مصراع واحد في قوله: [من الطويل]

ألا عم صبأحا أيها الطللُ البالي

وأما ما عيب على الشعراء في الابتداء قول محمد بن عبد الملك الزيات يصفناقته أول قصيدة مدح بها الحسن بن سهل: [من الرجز]

كأها حين تناءى خطوها أحنس مطوي الشوى يرعى القلل

فالعيب الأول في مخالفة العادة لازم له، ومع ذلك قوله "حين تناءى خطوها" مقصر بها، وهو يقدر أن يقول "حين تدانى خطوها" وخالف جميع الشعراء بذلك، لأنهم إنما يصفون الناقة بالظلم والحمار والثور بعد الكلال غلوا في الوصف ومبالغة، هذا هو الجيد، فإن لم يفعلوا يذكروا أنها بذلت جهدها، واستفرغت جميع ما عندها، بل يدعون التأويل محتملا للزيادة، ثم قال "يرعى القلل" والثور لا يرعى قلل الجبال، وإنما ذلك الوعل، فإنه يلهل، والثور في السهول واللمات ومواضع الرمال إلا أن يريد قلل النبات أي أعاليه، فرما أن تكون القلل نبتة ما بعينه أو مكانا فقد يمكن وما سمعت بهما.²

¹ ابن رشيق القيرواني - العمدة - ص 185.

² ابن رشيق القيرواني - العمدة - ص 185-186.

أما ابن رشيق فقال: وقد قلت أنلوان لم أدخل في جملة ما تقدم ولا بلغت خطته من قصيدة اعتذرت بها إلى مولانا خلد الله أيامه من طول غيبة غبتها عن الديوان:¹

إليك يُلحُضُ البحرُ فَعَمَّا كَأَنَّهُ بِأَمواجهِ جَيْشٍ إلى البرِّ أَرْحَفُ
يَوَبَعثُ خَلْفَ النُّجْحِ كُلُّ مَنيفَةٍ تَبِكُ يداها كَيْفَ تَطْوِي التَّائِفُ
مَنْ المَوْجِفاتِ اللَّائِيَّ قَدْزَنَ بِالْحَصَى يَوَرِمُ سِيحِ المَهْمَها تَمْتَقِاذِفُ
يَطِيرُ الأُلْمُ الجُعَدَ عَنها كَأَنَّهُ مَنِ القُطْنِ أو تَلُجِ الشِّتاءِ نَدائِفُ
قَدْ نَمَحَتْ فَضَلَ الوَمامِ ابْنَ نَكْبَةٍ هُوَ السَّيْفُ لا ما أَخلَصَتَهُ المَشائِفُ
فَكَيْفَ تَإِيرَ لو أَعنَتْ عَلى الغَنى بِجِدِّ، وإِنِّي لِلغَنى لَمَشائِفُ
وَقَدْ قَرَّبَ اللّهُ المَسافَةَ بَيْننا وَأَبْحَ نِزِ الوَعَدِ الرِّمانِ المَشائِفُ
وَلو لا شَقائِلِمِ أَعَبَ عَنكَ ساعَةً لا وَا مَرِ صَرَفِي عَنِ جَنابِكَ صَافِ
وَلَكِنِّي أَحطَطُّ شِدِي فَلَم أُصِبْ وَقَدْ يَحطِيءُ التُّرْدَ الفَتى وَهُوَ عَافِ

فذكرت قرب المسافة بيني وبينه حوطة وإخبارا أنّ خوض البحر وجوب الغلاة من صفة غيري من القصاد والغرباء والمنتجعين من الأمصار.²

في هذا الباب أكد ابن رشيق على وجوب حسن الابتداء وحسن التخلص والخروج والنهاية وهذا ما نلاحظه في قصيدته إذ بدأ بمدح الأمير المعز بأنه رغم غيبته عنه لم يتعد المسافة الطويلة لأنه قال فذكرت قرب المسافة بيني وبينه....

1-3- شعره في باب المثل السائر.

وأما في باب المثل السائر قال: "المثل السائر في كلام العرب كثير نظما ونثرا وأفضله أوجزه، وأحكمه أصدقاه، وقولهم "مثل شرود وشارد" أي سائر لا يرد كالجمل الصعب الشارد الذي لا يكاد يعرض له ولا يرد.³

أتى ابن رشيق بأمثلة من القرآن الكريم وأبيات من الشعر ولا بن المعتز وأبي الطيب المتنبي والناطقة وإمرئ القيس، فجدده اقتبس من القرآن الكريم فقال:

أيها الموحى إلينا نفته الصلّ الصموت

¹ - ابن رشيق القيرواني - العمدة - ص 194، ينظر: الديوان - 56.

² - ابن رشيق القيرواني - العمدة - ص 236.

³ - ابن رشيق القيرواني - العمدة - ص 236.

ماسكتنا عنك عيًّا ربّ نطقٍ في السكوت
 لك بيت في البيوت مثل بيت العنكبوت
 إنَّ يهن وهنأً ففيه حيلتنا سكنى و قوت
 من قوله تعالى كَمَا لِي الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا، وَإِنَّ أَوْهَنَ الْيُوتِ لَيُتُّ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانَتْ يَعْلَمُونَ.¹
 ثمَّ صرَّحَ بحيلة العنكبوت في الحصول على سكنها وقوتها وبيتها الضعيف ممثلاً بذلك حالة الذي سكت
 عنه.²

حاول ابن رشيق أن يلم بكل الأمثال التي جاءت في القرآن الكريم وأيضا في الأحاديث النبوية وأشعار
 العرب والأمثال النثرية السائرة، قال: قال أبو الطيّب وحكم عليه الوزن أيضا: [من الكامل]
 والمرء يأمل والحياة شهية والشيب أوفر، والشبية أنزق
 فأتى بمثلين في كل قسيم، وصنعت أنا: [من البسيط]
 كلُّ إلى أجل، والدَّهر ذو دول والحرص مخيبة، والرزق مقسوم
 في هذا البيت وكأنه يرد على المتنبي بأن كل شيء فانٍ وله أجل، والحرص أمر مخيب والرزق بيد الله وهو
 مقسومه

ثمَّ يقول: وأقلُّ من ذلك ما كان فيه خمسة أمثال، ولا أعرف منه في حفطي إلا بيتا واحدا للقرن السناط في
 بسط قصيدة مدح بها الأمير تميم بن المعز معد، وهو قوله: [من الرجز]
 خاطر تفد، وارتد تجد، وأكرم تسد وانقد تقد، واصغر تعدُّ الأكبرا
 وأما ما فيه ستة فإني صنعت: [من الطويل]
 خذ العفو، وأب الضيم، واجتنب الأذى أغض تسد، وارفق تنل، وأسخ تحمد
 نجد قوله هنا أيضا وكأنه ردُّ على بيت القرنز أو قد حمل نفس المعنى، وكلُّها أبيات في الحكمة.

1-4- شعره في باب التشبيه.

وأما في باب التشبيه فقد بدأ بتعريفه: "التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات
 كثيرة لا من جميع جهاته... ثمَّ ذكر الكثير من الأبيات الشعرية من بينها أبياته: [من الطويل]¹

¹-سورة العنكبوت- الآية 41.

²أحمد بن محمد أبو رزاق - الأدب في عصر دولة بني الحماد - صدر هذا الكتاب عن دار الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية -
 2007-ص 238.

شقيق، وعينه بقية نرجس كأن ثناياه أقاح، وخده
وقال أيضا على جهة التفسير: [من الخفيف]
بكووس حكين من شفّ قلبي شفة لم تذق وثغرا وريقا
يريد حافة الكأس والحباب والخمر.²

وهذه الأبيات وكأها خلاصة لبعض الأبيات ذكرها قبل أبياته وهي كل لابن المعتز وابن الرومي وابو تمام
ومرّش، وكلها في التشبيه إذ قال مرّش: [من السريع]
النشر مسك، والوجوه دنا نير، وأطراف الأكف عنم
وقال ابن الرومي: [من المجتث]

كأن تلك الدموع قطر ندى يقطر من نرجس على ورد
وقال ابن المعتز: [من مجزوء المتقارب]
بدر وليل وغصن وجه وشعر وقد
خمر ودر وورد ريق وثغر وخذ

نلاحظ أنّها أبيات تصب في نفس المعنى الذي قاله ابن الرومي، و لكن تشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء
حيث جعل من جمال الوجه بدرا ومن سواد الشعر ليلا ومن القد غصنا إذ نجد أنّ ابن الرومي استعمل أداة
التشبيه "كأن" بينما ابن رشيق قابل الوجه بالبدر ...

1-5- شعره في باب التفسير وباب الاقتضاء والاستنجاز.

فأما التفسير هو أنّ يستوفي الشاعر شرح ما ابتدأ به مجملا، وقيل ما يجيء هذا إلا في أكثر من بيت واحد،
نحو قول الفرزدق واختاره قدامة: [من الطويل]³

لقد جئت قوما لو لجأت إليهم طريد دم أو حاملا ثقل نغم
ألقيت منهم مطاعا وراءك شزرا بالوشيح المقوم

هذا جيد في معناه إلا أنّه غريب مريب، لأنّه فسّر الآخر أولا والأول آخر، فجاء فيه بعض التقصير
والإشكال، على أنّ من العلماء يرى أنّ ردّ الأقرب والأبعد على الأبعد أصح في الكلام.

1- ابن رشيق القيرواني-العمدة-ص246.

2- ابن رشيق القيرواني-العمدة-ص247.

3- ابن رشيق القيرواني-العمدة-ص323.

وأكثر ما في التفسير عندي السَّلامة من سوء التضمين لا أنَّه هو بعينه ما لم يكن في بيت واحد أو شبيهه به.

وقال ذو الرِّمة في التفسير: [من الطويل]

وليل كجلباب العروسِ ادَّرَعَتْهُ
أحمُّ علافيُّ، وأبيضُ صارمٌ
بأربعة والشَّخصُ في العينِ واحدٌ
وأعيُّسُ مهريُّ، وأروعُ ماجدٌ

ففسَّر الأربعة ما هي، ورفع على شرط، ما قدَّمت من الإضمار، كأنَّه قيل له: ما الأربعة التي شخصها في العين واحد؟ فقال: كذا وكذا وكذا...

ومن التفسير ما يفسَّر الأكثر بالأقلِّ، وهو من باب الإيجاز والاختصار وذلك ما أتت فيه الجملة بعد

الشرح، نحو قول أبي الطيِّب المتنبي: [من الكامل]

مَنْ مَبْلَغِ الأَعْيُنِ بِعَدَا
وَمَلَلْتُ نَجْرَعْتَهُ هَلْ رَفَأْضَانِي
جَالِسٌ مُتَسَطَّالِيْسَ وَالْإِسْكَندَارِ
مِنْ نَجْرِ البَدْرِ النَّضَارِ مَنْ قَيَّ
سَهَّ عَتُّ بِطَلِيمُوسٍ دَارِسَ كَتَبِهِ
ذُرَّ الإِلَهِ نَفُوسَهُمُ والأَعْصَارِ
وَأَتَى فَذَلِكَ إِنْ أَدَّتْهُمُ عَوَّالُ

وتعلَّقت به في بعض مدح السيد أبي الحسن فقلت: [من مجزوء المتقارب]

أَتَى بِعَدِ أَهْلِ العَلَى كجملة شيء شرح

أي أنَّ ابن رشيق اختصر كل ما قاله المتنبي، ثمَّ قال: وقد أتى أبو الطيِّب في بيت واحد فقال: [من الوافر]

إِذَا عُدَّ الكَرَامُ فَتَلْكَ عَجَلٌ كَمَا الأَنْوَاءُ حِينَ تُعَدُّ عَامٌ

قاله هذا الذي كُنَّا نرغب فيه لكون المفسِّر والمفسَّر به في بيت واحد.

وأما في باب الاقتضاء والاستنتاج فقال: حسب الشاعر أنَّ يكون مدحه شريفاً، واقتضاؤه لطيفاً،

وهجاؤه إن هجا عفيفاً؛ فإنَّ الاقتضاء الحسن ربَّما كان السبب المنع والحرمان، وداعية القطيعة والهجران،

وقوم يُدرجون العتاب في الاقتضاء في العتاب، وأنا أرى غير هذا المذهب أصوب؛ فالأقتضاء طلب الحاجة،

وباب التلطيف فيه أجود؛ فإن بلغ الأمر العتاب فإتِّمَّ هو طلب الإبقاء على المودة والمراعاة، وفيه توبيخ

ومعارضة لا يجوز معها بعد الاقتضاء إلا أنَّ الناس خلطوا هذين البابين وساوا بينهما.¹

فمن أحسن الاقتضاء على ما تحيَّرتَه، ونحوت إليه قول أميَّة بن أبي الصلت لعبد الله بن جُدعان: [من

الوافر]

¹ - ابن رشيق القيرواني - العمدة - ص 325

أَذْكَرُ حَاجِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ؟ إِنَّ شَيْمَةَ كَالْحَيَاءِ
 وَعِلْمُكَ بِالْحَقِّ تَقْوَى وَأَنْتَ فَرَعٌ لَكَ الْحَسَبُ الْمَهْدَبُ وَالسَّنَاءُ
 خَطِ يَلٌ لَا يَغِيْرُهُ صَبَاحٌ عَنِ الْخُلُقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَاءُ
 فَأَضْلُكُلْ مَكْرَمَةً بِنْتَهَا بِذُنُوتِهِمْ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ
 إِذَا أَتَيْتَ عَلِيكَ الْمَرْءَ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعْرُضِهِ الثَّنَاءُ
 تُبَارِي الرِّيحَ مَكْرَمَةً وَجُودًا إِذَا مَا الْكَلْبُ أَحْجَوَ الشِّتَاءُ

فأنت ترى هذا الاقتضاء كيف يلين الصخر، ويستنزل القطر، ويحط العضم إلى السهل.¹
 ومن أملح ما رأيته في الاقتضاء الاستبطاء قول أبي العتاهية لعمر بن العلاء، وابن المعتز يسمي هذا النوع
 مزحاً يراد به الجذ، وهو: [من الطويل]

أَصَابَتْ عَلَيْنَا جُودَكَ الْعَيْنِ أَيْ مَرَّ فَنُحِلُّهَا ذُبْحِي التَّحَامُّمَ وَالنُّشْرَ
 سَرَقَ يَكُ بِالْأَشْعَارِ حَتَّى تَمَلَّهَا فَإِنَّ لَمْ تُنْفِ مِنْهَا رَقِيذَ نَاكِ السُّورِ
 وكنت أنا صنعت في استبطاء: [من السريع]

أَحْسَنْتَ فِي تَأْخِيرِهَا مَنَّةً لَوْلَمْ تُنْجِرْ لَمْ تَكُنْ كَامِلَهُ
 وَكَيْفَ لَا يُجْمَنُ تَأْخِيرُهَا بَعْدَ يَقِينِي أَنْهَا حَاصِلُهُ
 وَجَنَّةُ الْفُؤُوسِ يَدْعَى بِهَا آجِلَةٌ لِلْمَرْءِ لَا عَاجِلَهُ
 لَكِنَّمَا أضعْفُ مِنْ هَمَّتِي أَيَّامٌ عُرِفُونَهَا زَائِلُهُ²

لقد أراد ابن رشيق أن يوضح الاقتضاء والاستبطاء، فأصاب وأجاد بهذه الأبيات لأنه مدح واستعطف، إذ
 أنّ منّة الممدوح مثل الجنة التي وعد الله بها عباده آجلة لا عاجلة.

1-6- شعره في باب العتاب والوعيد.

للعتاب طرائق كثيرة وللناس فيه ضروب مختلفة؛ فمنه ما يمازجه الاستعطف والاستتلاف، ومنه ما يدخله
 الاحتجاج والانتصاف، وقد يعرض فيه المن والاححاف، مثل ما يشركه الاعتذار والاعتراف.

وأحسن الناس طريقاً في الاعتراف شيخ الصناعة وسيّد الجماعة أبو عبادة البحراني الذي يقول: [من
 المتقارب]

يَرِيْبُنِي الشَّيْءُ تَأْتِي بِهِ وَأَكْبُرُ قَلْبًا أَسْتَرِيْبَا

¹- ابن رشيق القيرواني - العمدة - ص 436-437.

²- ابن رشيق القيرواني - العمدة - ص 438.

وَأَكْذَهُ لَنْ أَمْتَادِي عَلَى سَبِيلِ اغْتِرَارٍ فَأَلْقَى شَعْرُوبًا
أَكْذَبُ ظَنِّي بَأَنْ قَدَّ سَخَطَتْ وَمَا كُنْتُ أَعْهَدُ ظَنِّي كُنُوبًا
وَلَوْ لَمْ تُكُنْ سَاخِطًا لَمْ أَكُنْ ذُمَّمُ الزَّمَانِ وَ أَشْكُو الخُطُوبًا
لَا وَبَدَّ مِنْ لَوْمَةٍ أَنْتَحِي عَلَيْكَ بِهَا مَخْطَأًا أَوْ مُصِيبًا
أَيُصْبِحُ وُدِّي فِي سَاحَتِي كَ طَرَقًا وَمَرَعَايَ مَحَلًّا جَدِيًّا
أَبِيعِ الأَحْبَةَ بِيَعِ السَّوَامِ وَأَسَى عَلَيْهِمْ حَبِيبًا حَبِيبًا
فَنِي كَيْلِ لَوْمٍ لَنَا مَوْقِفٌ يَشَقُّ فِيهِ السُّودَاعُ لِجُوبًا¹

يقول: "وقد نحوت أنا هذا النحو في كلمة عاتبت بها القاضي جعفر بن عبد الله الكوفي قلت فيها: [من

الطويل]

وَقَدَّ كُنْتُ لَا آتِي إِلَيْكَ مَخَاتِمًا لَدَيْكَ، وَلَا أَتَى عَلَيْكَ تَصْنَعًا
وَلَكِنْ رَأَيْتُ المَدْحَ فِيكَ فَرِيضَةً عَلَيَّ إِذَا كَانَ المَدِيحُ تَطْوَعًا
فَقَمْتُ بِمَا لَمْ يَخْفَعَنَّكَ مَكَانُهُ مِنَ القَوْلِ حَتَّى ضَاقَ مِمَّا تَوَسَّعًا
وَلِيُوعِزُّكَ المَوْسُومُ عَنِّي بِرَبِيَّةٍ لِأَعْطَيْتُ مِنْهَا مَدْعَى القَوْلِ مَا ادَّعَى
لَا تَتَخَالَجُكَ الظُّنُونُ فَإِهَا مَاثِمٌ، وَاتْرَكَ فِي اللِّصِّ عَ مَوْضِعًا
فَوَاللَّهِ مَا طَوَّلْتُ بِالْيَوْمِ فِيكُمْ لِسَانًا، وَلَا عَدَّ رَضْتُ لِلدَّمِّ مَسْمَعًا
وَلَا مَلْتُ عَنْكُمْ بِالْيَدَادِ، وَلَا أَنْطَوْتُ حِبَالِي، وَلَا وُلِّيْتُ ثَلَاثِي، مُودِّعًا
بَلَى رُبَّمَا أَكْرَمْتُ نَفْسِي فَلَمْ تَهْنِ وَأَجْلَلْتُهَا عَنْ أَنْ تَذَلَّ وَتَخَضَعَا
وَلَمْ أُضْ بِالْحَظِّ الزَّهِيدِ، وَلَمْ أَكُنْ ثَقِيلًا عَلَى الإِخْوَانِ كَالْأَمْدَعَا
فَبَايَنْتُ لَا أَنَّ الدَّلَالِيَّةَ بَدَتْ وَقَاطَعْتُ لَا أَنَّ المَفَاءَ تَقَطَّعَا
أَلْوَدُ بِأَكْتَامِ الرِّجَاءِ، وَأَتَقِي شِمَاتِ العِدَا، إِنْ لَمْ أَجِدْ فِيكَ مَطْمَعًا²

وإذا قابلنا هذه القطعة بالأخرى وجدنا وجوه الشبه بينهما من حيث النهج والمعاني وتناسق الفقرات والعبارات، فنرى حينئذ أن " ابن رشيق" ليس بالمغالي إذا احس بنفسه خليقا بأن يكون في مصاف الفطاحل من الشعراء العرب.³

¹- ابن رشيق القيرواني - العمدة - ص 439.

²- ابن رشيق القيرواني - العمدة - ص 440.

³أحمد طمار - تاريخ الادب الجزائري ص 126.

وأما في باب الوعيد والإنذار فهو عند ابن رشيق مثل الهجاء لأنَّ الشاعر يتوعد ويحذر إذ قال: "كان العقلاء من الشعراء وذوو الحزم يتوعدون بالهجاء، ويحذرون من سوء الأحدثوة، ولا يُمضون القول إلاَّ لضرورة لا يحسن السكوت معها".

كان علي بن سليمان الأخفش في صباه يبعث بابن الرومي لما يعلم من طيرته، فيجعل من يقرع الباب عليه بكرة ويتسمَّى له بأقبح الأسماء، فيمنعه ذلك من التصرف، فقال يتوعدده: [من السريع]

قُولُوا لِنَحْوِينَا أَبِي حَسَنٍ إِنَّ حُسَامِي مَتَى ضَرَبْتُ حَضِي
وَأَنَّ زُبْلِي قَتَى هَمَمْتُ بِأَنَّ أُرْمِي نَصْلَتُهُمَا بِجَمْرِ غَضِي
لَا تُحْبِنَنَّ الْهَجَاءَ يَحْفَلُ بِالْ وَلَا خَفْضَ خَافِضٍ خَفْضًا
وَلَا تَحِلْ عَوْدِي كَبَابِثِي سَأَعَطُ الشُّمَّ مِنْ عَمَّالِحَضَا
أَعْرِفُ فِي الْأَشْقِيَاءِ بِلِي رَهْلًا لَا يَشْتَهِي أَوْ يَصِيرُ لِي غَرَضًا
يُذِيحُ لِي صَفْحَةَ السَّلَامَةِ وَالسَّ لَمْ، وَيَخْفِي فِي قَلْبِهِ الْمَرْضَا¹
يُضْحِي بِغَيْظِي إِنْ غَضِبَا لِلَّهِ عَلَيْهِ وَنَزَلَتْ مِنْهُ رِضَا
وَلَيْسَ تَجْدِي عَلَيْهِ مَوْعِظِي إِنْ قَدَّرَ اللَّهُ حِينَهُ قَقْضِي
كَأَنَّي بِالشَّقِيِّ مَعْتَدُوا إِذَا الْقَوْلِي أَذَقَهُ هَضَا
يَشْدِينِي الْعَهْدِ وَمَذَلِكُ وَال عَهْدُ خَفَارِئِ لَهُ لَقَبَضَا
لِيَأْمَنَنَّ السَّفِينَةُ بِبَابِي فَإِنِّي لَمْ يَحْضُرْ لِي عَضَا

وكذلك قد فعل، وقد مزقه بالهجاء كل ممزق، وجعله مثله بين أصحابه، على أنَّ الأخفش كان يتجلَّد عليه، وظهر قلَّة المبالاة ومما قلته في هذا الباب:

يَا مَوْجِي شَتْمًا عَلَى أَنَّهُ لَوْ فَزَكَ الْبُرْغُوثُ مَا أَوْجَعَا
كُلُّ مَنْ زَفَسَهُ آفَةٌ وَآفَةُ النَّحْلَةِ أَنْ تَلْسَعَا
وقلت من قصيدة خاطبت بها بعض بني مناد:

مَنْ يَصْحَبُ النَّاسَ مَطْوِيًّا حِلًّا لَا يَصْحَبُهُ، فَخَطُّوا كُلَّ تَدْحِيلِ
لَا تَسْتَطِيلُوا عَلَى ضِعْفِي بِقُوَّتِكُمْ وَرَبِّ مَوْجِعَةٍ فِي إِثْرِ تَقْبِيلِ²

¹العمدة-ص445-446.

²-ابن رشيق القيرواني-العمدة-ص447.

الملاحظ في الوعيد والانداز والهجاء عموماً عند المغاربة لا يقارن بالهجاء والوعيد المشرقي، وهذا ما يظهر في أبيات ابن رشيق فإنه رغم توعده فإنه لم يقل كلمات تنبي بوعيده وتحذيره لخصمه إنما شبهه بالبرغوث الذي لا ضرر فيه، وبالمقابل أن نفس الشاعر شبهها بالنحلة التي تلسع، وحتى مخاطبته لبني مناد لم تكن مخاطبةً عنيفةً فيها الوعد والوعيد.

1-7- شعره في الاعتذار.

قال: وينبغي للشاعر أي لا يقول شيئاً يحتاج أن يعتذر منه، وليقصد مقصداً عجيباً وليعرف كيف يأخذ بقلب المعتذر إليه، وكيف يمسح أعطافه، ويستجلب رضاه، فإن إتيان المعتذر من باب الاحتجاج وإقامة الدليل خطأ؛ لا سيما مع الملوك وذوي السلطان، وحقه أن يلطف برهانه مدججا في التضرع والدخول تحت عفو الملك، وإعادة النظر في الكشف عن كذب الناقل ولا يعترف بما لم يجنه خوف تكذيب سلطانه أو رئيسه، ويحيل الكذب على الناقل والحاسد.

وقد سلك أبو علي البصير مذهب الحجة، وإقامة الدليل بعد إنكار الجناية فقال: [من المنسرح]

لم أجن ذنباً ما فإن زمت بأن جيت ذنباً ما فغير مهجد
قد تطوف الكف عين صاحبها ولا يري قطعها من الرشد
ونحوت أنا هذا النحو فقلت من السريع:

لا يبعد الله أبا جعفر دعا بة بت على زارها
وإن تأذيت فيا ربه - أما تأذت العين بأشفاها¹

لقد قال في بداية حديثه ما ينبغي للشاعر أن يفعل شيئاً يعتذر منه ويوقعه في الحرج، ولكن إذا وقع فيه القضاء فليكن مذهبه لطيفاً، وهذا ما وجدناه في البيتين؛ لأن أبا جعفر قد أساء فهمه من جراء دعاية، فاستجلب رضاه واعتذر منه.

1-8- شعره في باب البلاغة.

تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "كم دون لسانك من حجاب؟" فقال شفتاي، وأسناني، فقال: "فقال له: إن الله يكره الانبعاق في الكلام، فنصر الله وجه رجل أوجز في كلامه واقتصر على حاجته". وسئل النبي صلى الله عليه وسلم: فيم الجمال؟ فقال: "وفي اللسان" يريد البيان.²

¹- ابن رشيق القيرواني - العمدة - ص 453.

²- ابن رشيق القيرواني - العمدة - ص 203.

ولقد ذكر ابن رشيق عدّة أقوال وآراء لبعض ما قيل عند أصحاب المنطق، وما قالته الأعراب، وبعض آراء الشعراء لأدباء أمثال خلف الأحمر والخليل وابو الحسن عليّ بن عيسى الرمانيّ¹ وابن المقفع حيث قال صاحب الكتاب:

وسئل ابن المقفع: ما البلاغة؟ فقال اسم لمعان تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا، ومنها ما يكون ابتداءً، ومنها ما يكون في الحديث ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون خطبا، ومنها ما يكون رسائل، فعامّة هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة. قال ابن رشيق: فهذا ابن المقفع جعل من السكوت بلاغة رغبة في الإيجاز وقال بعض الكلبيّين: [من الكامل]

واعلم بأنّ من السُّكُوتِ مَازَةٌ ومن التَّكَلُّمِ ما يَكُونُ خَبالاً

وقلت أنا في ذلك: [من الطويل]

وأخفقَ أَكْمالٌ لِمَاحِمِ صَديقِهِ وليس لِمَاري ريقِهِ بِمُسيغِ
سَكَّتْ لَهُ ضَنًّا بِعِزِّي فَلَمَّ أُجِبْ وَرَبِّ جَوَابٍ فِي السُّكُوتِ بليغ¹

والملاحظ في البيتين أنّ ابن رشيق وظّف المعنى أو الفكرة ولكن بألفاظ محبوكة، فلقد صوّر لنا صفة الانسان الذي يأخذ في عرض صديقه، ولكن بأوجز لفظ وأدق معنى؛ وهذه هي البلاغة حسب الآراء التي ذكرها وقد أطال الكلام في هذا الباب لأهميته بالنسبة للشعر والنثر على حدّ سواء.

¹- ابن رشيق القيرواني- العمدة- ص 204-205.

1-9 شعره في باب السرقات وما شاكلها.

إن قضية السرقات الشعرية منتشرة في الشعر بطريقة أو بأخرى، ونرى اليوم مصطلحاتها من اجترار وامتصاص... إلخ عند العرب والغرب ضمن ما يسمّى بالتناسل، وابن رشيق قال عنها بأكثر باب متسع جداً لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعي السلامة منها، وهذا ما لا حظناه في شعره لأنه تأثر بالشعراء الذين حفظ لهم أمثال ابن الرومي وإعجابه بمعانيه و ابن المعتز وإعجابه بصنعتة، وأبي الطيّب الذي في نظره شعره منقطع النظير، وقد حاول مجاراتهم:

لَوْ أُورِقَتْ مِنْ دَمِ الْأَبْطَالِ سُمِّرَ الْقَنَا لِأُورِقَتْ عِنْدَهُ سُمِّرَ الْقَنَا الدُّبْلُ
إِذَا تَوَجَّهَ فِي كِتَابَيْهِ لَمْ تَفْقُرِ الْعَيْنُ بَيْنَ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ
فَأَجَلُ نَيْشٍ يَنْفُضُ حَوْلَيْهِ أَسْنَتَهُ نَفَضَ الْعُقَابُ جَدَّ أَحْيَاهَا مِنَ الْبَلْبَلِ

وهذا البيت من عقليّ له، ومع ذلك ملتقط من قول المتنبي:

يَهْرُ الْجَيْشِ حَوْلَكَ جَانِبِيهِ كَمَا نَفَضَتْ جَنَاحَيْهَا عُقَابُ

ومن قول أبي صخر الهذلي:

وَإِنِّي لَعُوبِي لِمَكْرَاكِ هَزَّةٍ كَمَا انْتَفَضَ صُفُورُ بِلَالِهِ الْقَطْرِ

ومعنى الالتقاط ويسمى أيضا التلفيق والترتيب، وأن ينشر الشاعر المعاني المترتبة، ويستخرج منها معنى مولداً يكون فيه كالمخترع وينظر به إلى جميع تلك المعاني، فيقوم وحده مقام جماعة من الشعراء وهو ما يدل على حدق الشاعر وفطنته.¹

وهذا ما نجد في أغلب أشعاره التي في كتاب العمدة الذي يذكر فيه أبياتاً لشعر غيره ثم يذكر أبياتة، فالسرقات عنده أنواع من بينها الالتقاط والتلفيق، وتحدث عن الكثير من الشعراء مثل الشاعر يزيد ابن الطثرية أخذ من قول جميل ومن قول جرير وقول عنتر الطائي ومعناه من قول امرئ القيس والبيت واحدهو: [من الطويل]

إِذَا رَأَيْتَ مَقْبَلًا غَضَّ طَرْفَهُ كَأَنَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ نَوِيَّ يُقَابِلُهُ

¹ ابن دحية الكلبي - المطرب من أشعار أهل المغرب - ص 16

فالشاعر يعتبره متبعا إما جيد الاتباع أو سيء الاتباع، وبالنسبة إليه فقد أجاد في إتباعه للمتنبى وأبي صخر الهذلي.

وهناك نوع آخر من السرقات الشعرية سماها النقل مثل قول امرئ القيس: [من الطويل]

إِذَا مَا رَكِبْنَا قَالَ وَلِدَانُ حِينَا تَعَالَوْا إِلَىٰ أَيْنَ أَتَىٰ الصَّيْدَ نُحْطَبُ¹

نقله ابن المقبل إلى القدح فقال: [من الطويل]

إِذَا أَمَّتْ حَتَمَهُ مِنْ مَدِّ عَصَابَةٍ عَمَارِيَةً قَبْلَ الْإِفَاضَةِ يَقْدَحُ

نقله ابن المعتز إلى البازي فقال: [من الطويل]

قَدْ وَثِقَ الْقَوْمُ لَهُ بِمَا طَلَبَ فَهُوَ إِذَا عَيَّرَ لَصِيدٍ وَاضْطَرَّ

عَوَا سَكَكَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْقَوْبِ

نقلته أنا إلى قوس البندق فقلت:

طَيْرٌ أَبَا بَابِلٍ جَاءَ تَدَا فَمَا بَرَحَتْ إِلَّا وَأَقْوَأَسْنَا الطُّيْرَ الْأَبَابِيلُ²
تَرْمِيهِمْ بِحَصَى طَيْرٍ مَسْوُومَةٍ كَأَنَّ مَعْدَنَهَا لِلرَّبِيِّ سَجِيلُ
تَعَلَّوْا عَلَى ثِقَةٍ مَنَا بِأَطْيَبِ بِهِيَ فَالْتَأَرَتْ قَدْحُ وَالطَّنْجِيرُ مَغْسُولُ³

نلاحظ أنَّ الأبيات مقتبسة من القرآن الكريم، وقد نقل المعنى مثل ما فعل ابن المقبل وابن المعتز، فكانت أبياته بديعة إذ وصف البندق في أجمل صورة، فدقق في الوصف إذ قال محمد كامل عويضة: وقد أبدع الرجل في صفة القوس والصيد والقنص، ولو كلمة الطنجير لكانت أبياته في ذروة ما تقرأ له في هذا المعنى؛ على أنَّ كلمة الطنجير اسم للوعاء ما كانت له ممدوحة من استعمالها كما استعمل العرب الأوائل كلمات غير عربية لما اضطرتهم الحياة لاستخدام مدلولاتها.³

إنَّ ما قام به ابن رشيق في الالتقاط والتلفيق قد قام به أيضا مع النقل، فهو يختار ثلثة من الشعراء ثم يقول شعره في أحسن معنى وأجود لفظ، وبهذا قد طبق نقده فيما يخص وجوب التوافق في المعنى واللفظ، لأنَّ قضية اللفظ والمعنى من أبرز القضايا التي أثارها في كتابه العمدة.

¹- ابن رشيق القيرواني- العمدة- ص 240.

²- ابن رشيق القيرواني- العمدة- ص 239.

³محمد كامل عويضة- ابن رشيق الشاعر البليغ- ص 150.

10-1- شعره في باب الوصف.

وهو الباب ما قبل الأخير إذ قال الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف، ولا سبيل إلى حصره واستقصائه، وهو مناسب للتشبيه وهو مشتمل عليه وليس به، لأنه كثيرا ما يأتي في أضعافه والفرق بين الوصف والتشبيه أن هذا إخبار عن حقيقة الشيء، وأن ذلك مجاز وتمثيل وأحسن وصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله

عيانا للسامع، كما قال النابغة الجعدي: [من الطويل]

فَبَاتَ يُدْكَ يَهْبِغِيرُ حَـ مَيْلَةَ أَخُو قَصِّ يَمْسِي وَيُصْبِحُ فُفْطَرًا
إِذَا مَا رَأَى مِنْهُ كُرَاعًا تَحَرَّكَتْ أَصَابَ مَكَانَ الْقَلْبِ مِنْهُ وَفُفْرًا

والشاعر يصف ذئبا افترس جؤذرا بغير حديدة، فهو قناص يمسي و يصبح مفطرا، فإذا رأى منه رجلا تحركت هجم على قلبه ليقضي عليه.

قال ابن رشيق: فأنت ترى كيف قام هذا الوصف بنفسه... وصنعت أنا في زرافة أتت في المهدية من مصر

إلى مولانا خلد الله ملكه من قصيدة طويلة: [من الكامل]¹

وَأَتَكَ مِنْ كَسْبِ الْمَلُوكِ زَرَفَةٌ شَتَّى الصِّفَاتِ لَكُونَهَا أَتْنَاءُ
جَمْعٌ مَحْسَنٌ مَا حَكَتْ فَتَنَابَسَتْ فِي خَلْقِهَا وَتَنَابَتِ الْأَعْضَاءُ
تَحْتَتِ شُهَا بَيْنَ الْخَوَافِقِ مَشِيَّةٌ بَادَ عَلَيْهَا الْكَبُورِيُّ مَلَاءُ
وَتَمَحِيلًا فِي الْهَوَاءِ يُزِينُهَا فَكَأَنَّهُ تَحْتَمَتِ اللَّوَاءُ لَوَاءُ
حَطَّتْ مَا حَوَّهَا وَأَشْفَى صَدْرَهَا حَتَّى كَأَنَّ وَقُوفُهَا إِقْلَعُ
وَكَأَنَّ فَمَّهِ الطَّيِّبِ مَا رَجَمَتْ بِهِ وَجْهَ الثَّرَى لَوْ لَمَّتِ الْأَجْرَاءُ
وَتَحْيِيٍّ - رَتَّ دُونَ الْمَلَابِسِ حُلَّةٌ عَيَّتْ لَصْنَعَةً مِثْلَهَا صَنْعَاءُ
لَوْ نَاكَلَ مِنَ الزَّبْلِ إِلَّا أَنَّهُ حَلِيٌّ وَجَجَّ بِبَعْضِهِ
وَكَالسَّحَابِ الْمَكْفَهَةِ نُحِيطَتْ فِيهِ الْبُرُوقُ وَمِيضُهَا إِيمَاءُ
أَوْ مِثْلُ مَا صِلَتْ صَفَائِحَ جَوْشَنِ وَجَرَى عَلَى حَافَتَيْهِ جَلَاءُ

¹ - ابن رشيق القيرواني - العمدة - ص 544-546، ينظر: الديوان - ص 28.

نَعَمَ التَّجَافِيفُ الَّتِي أَدْرَعْتُ بِهِ
مِنْ جَلِّهَا لَوْ كَانَ فِيهِ وَقَاءٌ¹
وَصَنَعْتُ أَيْضًا:

وَجُحُوفَةٌ لِلأَبْلِ لَمْ تَكُنْ مَذَلَّةَ الظَّهِيرِ لِلرَّكَبِ
قَدِ اتَّصَلَ الجِدُّ مِنْ ظَهْرِهَا بِمِثْلِ السِّنَامِ بِغَيْرِ غَارِبِ
مُلَاحَظَةٌ مِثْلَ مَا لُمِعَتْ بِجَنَاءٍ وَشَيْءٍ يَدُ الكَاعِبِ
كَأَنَّ الجَوَارِي كَنَفَذَهَا لِخَالِخٍ مِنْ كَلِّ جَانِبِ¹

ويقصد باللخاخ الطيب، وهو يصف فرسا غير مذلة للراكب، ولكنها جميلة تضع الحناء والجواري يطيَّبها بالطيب من كل جانب، وهو بهذا شاعر الوصف كقول حنا الفاخوري: "ابن رشيق شاعر الوصف ينشره هنا وهناك في شتى قصائده ويعتمده اعتمادا لما يجد في نفسه من ميل إليه وفي خياله من ثروة تصويرية تساعده على الإجادة فيه، وقد اندفع إلى الطبيعة يصفها بقلبه وروحه ولسانه، يصف كل شيء فيها على أنه مظهر من مظاهر الحياة والجمال يصف الزرافة كما يصف البغل والحجل وفحل الإوز، ويصف البنفسج وشقيق النعمان كما يصف المشمش والنارنج والبادنجان، ويصف الخال في خد الحسنة كما يصف البهار وغيره من الأشياء، وهو في وصفه رائع الابتكار، واقعي الملاحظة دقيق الأداء شديد الاعتماد على أساليب البيان والبدیع، شأنه شأن جيرانه الأندلسيين... وابن رشيق يروعك بابتكاره، وصدق اعترافه وبده آفاقه وحسن تصويره لأي شيء يصفه أو يعبر عنه".²

من خلال قراءتنا لأشعار ابن رشيق سواء في الوصف أو المدح أو العتاب... نلاحظ أن شعره ذا صنعة ولكن من غير تكلف وهذا ما أكدته في قضية الطبع والصنعة.

1-11- شعره في باب الجوائز والصلوات.

قال: "والصلة ما أخذه الرجل من السلطان أول ما يتصل به، ثم أكثر ذلك حتى قيل لهبة الملك صلة، وهذه الأبيات كنت صنعتها للسيد أبي الحسن أدام الله عزه ختمت بها الكتاب لما جاء موضعها:

إِنَّ الَّذِي صَاغَتْ يَدِي وَفَمِي جَوَى لِسَانِي فِيهِ أَوْ قَلَمِي
مَاءٌ عُنَيْتُ لِسَبِكِ خَالَصِهِ وَاخْتَرْتُهُ مِنْ جَاهِلِيَّةِ كَلَمِ
لَمْ أَهْلِهِ إِلَّا لَتَكْسُوهِ دَكْوًا تُجَدِّدُهُ عَلَى الْقَلَمِ
لَسْنَا نَزِيدُكَ فَضْلَ مَوْفِيَةٍ لَكُنْهُنَّ مِصَائِدُ الكَرَمِ

¹ - ابن رشيق القيرواني - العمدة - ص 247.

² حنا الفاخوري - تاريخ الأدب في المغرب العربي - ص 240.

فَأَقْبَلَ هَدِيَّةً مِنْ أَشَدَّتْ بِهِ وَ نَسَخَتْ عَنْهُ آيَةَ الْعَدَمِ
لَا تُحِبُّ الدُّنْيَا أَبَا حَسَنِ تَأْتِي بِمَثَلِكَ فَاتَّقِ الْمَحَمَّ1

لقد ذكر ابن رشيق أصل الجائزة عند العرب، وأورد قول جعفر النحاس وقول ابن قتيبة ثم عرفها هو بأنها تكون هبة من عند ملك، ولكنّه في أبياته شاعرنا هو الذي يقدم "كتاب العمدة" لأبي الحسن بن أبي الرجال ولكن تعتبر هدية لا هبة لأنّه يقول: فاقبل هدية من أشدت به.

وأما القضايا النقدية الأخرى (اللفظ والمعنى-الطبع والصنعة - حدّ الشعر-الموازات والمطابقات) لم يقل فيها شعره، فاعتمدت على ديوانه الذي وجدت فيه أنّ شعره خضع لأحكامه النقدية، ومثال ذلك:

1-12 قضية اللفظ والمعنى:

رَكَزَ ابن رشيق على ضرورة الارتباط بين اللفظ والمعنى وتآزرهما وتلاحمهما في العمل الفني وعدم الفصل بينهما.

فعند قراءتنا لشعره وجدناه كذلك، فكان في كلّ مرّة يأتي بالمعنى ويربطه بلفظه كقوله [من البسيط]

لَمِ قَتُّ طِينًا وَمَاءُ الْبَحْرِ يُتَلَفُهُ وَالْقَلْبُ فِيهِ زُفُورٌ مِنْ مَرَاكِ بِهِ
فَالْبَحْرُ خَيْرٌ رَفِيقٌ بِالرَّفِيقِ لَهُ وَالْبُرْمَةُ لَسَمِهِ بِرَبْرَاكِ بِهِ

عُرف ابن رشيق بكرهه ركوب البحر، وإنّ أمر بذلك فيقول خلقت من طين والماء يتلفه، فكيف لي أن أركب البحر وبني خوف منه وقلبي ينفر ركوبه، ويمتدح البحر بالرفق وحسن الصحبة، ولكنّه يفضل سفر البرّ لأنّه يراه أكثر أمنًا.²

1-13- حدّ الشعر:

لقد ذكر ابن رشيق أنّ حدّ الشعر لفظ ووزن و معنى وقافية، ولكن اشترط القصديّة (بعد النية) إضافة إلى أنّ الألفاظ والأوزان والقوافي التي في مجموعها تشكل عنصر الموسيقى والمعاني مهما كانت بسيطة أو معقدة هي التي تشكل الخيال والعاطفة.

فإذا رجعنا إلى شعره ووضعناه في ميزان نقده، نجدّه قد تمثّل فيه كقوله: [من البحر الوافر]

سَأَلْتُ الْأَرْضَ لِمَ كَانَتْ تُصَلِّي وَلَمْ كَانَتْ لَنَا طَهْرًا وَطِيًّا
فَقَالَتْ غَيْرَ رَنَاطَةٍ لِأَنِّي حَوَيْتُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ حَبِيًّا

¹ العمدة-ص561.

² ابن رشيق القيرواني - الديوان -ص44.

يقول سألت الأرض عن سبب جعلها مكانا صالحا للصلاة، ولم هي طيبة طاهرة، فأجابت وهي لا تنطق: لأنني ضمت أحبائك في أحشائي والأحبة ههنا هم الموتى الذين تحتضنهم الأرض¹ فالألفاظ والوزن والقافية قد شكلت موسيقى، والمعاني هي معاني راقية غير معقدة وغامضة، فرسمت لنا صورة شعرية جميلة .

1-14-الموازنات والطبقات:

لقد قسّم ابن رشيق الشعراء إلى طبقات أربع (جاهلي - جاهلي - مخضرم - محدث)، فالمحدثين قسّمهم إلى أربع أصناف أيضا:
شاعر خنذيد وهو الذي يجمع شعره رواية الجيد من شعر غيره .
شاعر فحل وهو كقول رجة عندما سئل، قال هم الرواة.
شاعر مفلق وهو الذي لا رواية له إلا أنه مجود كالخنذيد في شعره.
شاعر فقط و هو فوق الرديء بدرجة وهو لا شيء.

من خلال دراستنا لشعره ندرك أن ابن رشيق شاعر خنذيد لأنه يجمع رواية الجيد من شعر غيره، وبعد تقسيمه لطبقات الشعراء يعطينا صفات الشاعر الفحل ففي نظره هي:
أن يشعر بما لم يشعر به غيره، فإذا لم يكن عند الشاعر توليد المعنى ولا اختراعه أو استطراف لفظ أو ابتداعه، وهذا ما نلّفه في شعره لأنه مبدع في وصفه، ولديه قدرة على توليد المعاني والدليل على ذلك شعره في كتاب العمدة، وأيضا ديوانه ومثال ذلك في قوله: [من الكامل]

يا ربّ لا أقوى على كفّ الأذى وبك استعنت على الضعيف الموي
مالي بـمغنت إليّ ألف بعوضة وبغنت واحلة إلى النمرود²

يدعو ابن رشيق ربه ويشكو له حاله مع أعدائه، وبه يستعين على الضعيف الموي إذ شبّه عدوّه بالبعوض ولكنه بعوض كثير مقارنة بالنمرود الذي بعث الله بعوضة واحدة فأهلكته، وهذا معنى جديد مولّد وثبت لنا قدرة الشاعر في الوصف وتوليد المعاني.

¹ ابن رشيق القيرواني - الديوان - ص 39.

² ابن رشيق القيرواني - الديوان - ص 72.

1-15- الطبع والصنعة:

قال ابن رشيق: "ومن الشعر مطبوع ومصنوع، فالمطبوع هو الأصل... والمصنوع وإن وقع عليه الاسم فليس متكلفا تكلف أشعار المولدين"¹، ثم ضرب لنا مثالا بزهير بن أبي سلمى والحطيئة، وهذا ما يؤثره ابن رشيق في الصنعة من غير تكلف أي دون كثرة الجناس أو المقابلة، وهذا ما نلّفه في شعره يعتمد على الصنعة ولكن لا يبالغ ولا يتكلف، كقوله: [من المتقارب]²

كذبت ولو أنني أستهطع لإجلال قدرك تون البشر
قلدت اليراعة من أمليوكان المداد سواد البصر

يقول كتبت لك، ولو استطعت لاتخذت من أملي قلمًا، ومن سواد عيني حبرًا، ويقصد باليراعة القلم الذي يتخذ من القصب.

1-16- الوزن والقافية:

لقد فصل ابن رشيق في الوزن والقافية، وهذا اعتمادا على آراء علماء في هذا الاختصاص كالحليل والجوهري...، وأما بالنسبة إليه فهو يرى أنّ الوزن والقافية شريكان في الاختصاص بالشعر ولا يقوم الشعر إلاّ بهما ثم عرف القافية وعيوب الشعر.

وابن رشيق كمعظم الشعراء لم يسلم من الوقوع في عيوب القافية، ورغم بساطتها وقلتها وندرة وقوعها ولكن نذكر أهمّها:

سند الإشباع: تغيير حركة الدخيل في قوله:

فهاك من محكمات القول معلمة بالشعر فيك وشر الشعر ساذجه
فإنّ حولك قوم زاد شعرهم في البرد حتى أصاب الناس فالجه

التضمين: إفتقار القافية إلى البيت الذي بعدها في إفادة معناها في قوله:

كأما الصبح الذي تفرّا ضمّ إلى الشرق النجوم الزهرا

الإيطاء: إعادة كلمة الروي لفظا ومعنى في قوله:

¹ ابن رشيق القيرواني - العمدة - ص 114.

² ابن رشيق القيرواني - الديوان - ص 74.

فكيف تراني إن أعنت على الغنى بجدّ وإني للغنى لمشارف
وقد قرّب الله المسافة بيننا وأنجزني الوعد الزمان المشارف¹

وفي آخر هذا الفصل نذكر ما قاله بعض الدارسين عن شعر ابن رشيق و من استشهد به:

استشهد بشعره الامام محمد حسين الخضر في كتابه الخيال قال في حالة المعنى والتخييل: قد يصوغ الشاعر المعنى الأول للخطاب في صورة خيالية، فلا يدركه إلا من صفت قريحته، ورقت حاشية المعية، ككثير من الأشعار الواردة على الطريق المعميات والألغاز أو من سبق إليه ما يهديه إلى المراد، ويساعده على فهمه من قرينة حال أو مقال، ك بعض المحاورات التي يقصد فيها المتخاطبان إلى إخفاء الغرض وكتمه.²... ومن أبدع ما جاء على هذا النمط قول ابن رشيق القيرواني

جَوْتُكَ لِلأَمْرِ المَهْمِ وَفِي يَلِي بِقَايَ مَا أَمْنِي النَّفْسَ فِيهَا الأَمَانِيَا
وَسَاوَفَتْ لِي الأَيَّامُ حَتَّى انْقَضَتْ أَوَاخِرَ مَا عَلَيَّ قَطَعْتُ رَجَائِيَا
وَكُنْتُ كَأَلْبِيءِ طَالِبِ لَبِ لِأَجْمَامِهَا أَوْ يَرْجِعُ المَاءُ صَافِيَا
فَلَا هُوَ أَبُ قَتَى مَا أَصَابَ لِنَفْسِهِ وَلا هِي أَعْطَتْهُ الَّذِي كَانَ رَاجِيَا

وأيضاً استشهد بشعره ابن خلدون في مقدمته فقال: "وبالجملة فهذه الصناعة (في صناعة الشعر ووجه تعلمه)، وتعلمها مستوفى في كتاب العمدة لابن رشيق، وقد ذكرنا منها ما حضرنا بحسب الجهد، ومن أراد استيفاء ذلك فعليه بذلك الكتاب ففيه بغية لذلك، وهذه نبذة كافية والله المعين... ومن أحسن ما قيل في ذلك وأظنه لابن رشيق:³

لعن الله صنعة الشعر ماذا من صنوف الجهال فيها لقينا
يؤثرون الغريب منه على ما كان سهلاً للسامعين مبينا
ويرون المحال معنى صحيحاً وخسيس الكلام شيئاً ثميناً
يجهلون الصواب منه ولا يد رون للجهل أنهم يجهلوننا
فهم عند من سوانا يلامو ن وفي الحق عندنا يعذروننا
إنما الشعر ما يناسب في النظ م وإن كان في الصفات فنونا
فأتى بعضه يشاكل بعضاً وأقامت له الصدور المتون

¹ ابن فايد الصادق- البنية الإيقاعية في ديوان ابن رشيق- مذكرة لنيل شهادة الماجستير 2010-2011، جامعة الحاج لخضر باتنة-ص 89.

² محمد حسين الخضر - موسوعة الأعمال الكاملة- كتاب الخيال-ص 32.

³ ابن خلدون- مقدمة ابن خلدون-ص 371.

كل معنى أتاك منه على ما تتمنى لو لم يكن أو يكونا
فتناهى من البيان إلى أن كاد حسنا يبين للناظرينا
فكأن الألفاظ منه وجوه والمعاني ركن فيه عيوننا
قائما في المرام حسب الأماني يتحلى بحسنه المنشدوننا
فإذا مدحت بالشعر حراً رمت فيه مذاهب المشتهينا

أما د/عمر فروخ فقد قال عن شعره: "ابن رشيق عالم باللغة والنحو وبارع في الأدب والنقد وشاعر ومؤلف حسن التأليف ولقد غلب نقد الشعر عليه، فعرف به دون سائر فنون العلم والأدب، وابن رشيق شاعر مقتدر صحيح المعاني متين الأسلوب غير أن العقل يغلب في شعره على العاطفة ومعظم معانيه مستعارة، وإن كان أحيانا يصيب الصورة الشعرية.¹

رأي د/شوقي ضيف في صور ابن رشيق الشعرية: اشتهر بجودة الخاطر وحسن القريحة... وكان يعرف كيف ينفذ إلى هذه الصور البديعة وبدعها، فيرجع إلى ما تحمل من عنصر المفاجأة ومن ذلك قوله في تميم بن المعز:

أَصْحَ مَا سَمَعْنَهُ فِي النَّوَى مِنْ لِحَابِ أَثَرِ مَنْدُ قَلِيمِ
أَحَادِيثُ تَوِيهَا السُّيُولُ، عَنِ الْحَيَا عَنِ الْبَحْرِ عَدَدِ الْإِمِيرِ تَمِيمِ²

¹عمر فروخ - تاريخ الأدب العربي، ج 4 - ص 550.

²شوقي ضيف - تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والأمارات: ليبيا، تونس، تنس، صقلية) - دار المعارف - القاهرة - ص 227.

خاتمة

وختاماً إنّ العصر الذي عاشه ابن رشيق قد تميّز بكثرة العلوم وظهورها من بطون الكتب، وتداخل العلوم والانفتاح على العالم، فأدى إلى ارتقاء الثقافة الإسلامية، وهذا ما انعكس على الأدب من شعر ونثر فكان شاعرنا قد التزم بأن يُدلي بدلوه ويضع حدوداً للشعر وقوانين تجعل الشعراء يسبغون على النهج الصحيح.

وهذا اعتماداً على ما قاله الأولون ومعاصروه من نقاد وشعراء ولكنّه لم يُعدّ كلامهم فقط. إنّما حاول أن يُيسر المفاهيم النقدية ويُقرب بالشواهد الشعرية من شعره وشعر غيره، وذلك نظراً للبيئة المغربية التي كانت تمثّل الجناح الآخر للحضارة الإسلامية، فحاول ابن رشيق أن يساوي بينها وبين المشرق نقداً وشعراً فكل قارئ لكتاب العمدة أو ديوانه يتبيّن هذا الأمر.

-لقد كان ابن رشيق من النقاد الأعلام الذي لا يشق له غبار، إضافة إلى أنّه شاعر مفوّه في بلاط المعزّ حاله حال المتنبي أيام سيف الدولة.

-الملاحظ أنّ منهجه مختلف عن النقاد الآخرين من حيث التبويب والتقسيم وطريقة الطرح والأداء.

-الكثير من الدارسين المشاركة من وصفه بالناقل وحسب، بينما هو غير كذلك، إنّما دائماً كان يتدخل كناقد حصيف ومتزن.

إنّ ما تميّز به ابن رشيق عن غيره هو عرض الآراء النقدية ثمّ عرض رأيه وفكرته، وأيضاً أخضع شعره بنفس الطريقة، وهذا ما يتعد عنه الشعراء والنقاد عموماً.

-حاول أن يتمثّل آراءه ومواقفه النقدية في شعرية بطريقة اشبه باللوحات الفنية، بحيث إنّه إذا فرض حكماً فنياً في نقده معناه أنّه سنّ حكماً نقدياً يطالب به الشعراء أن يتمثلوه في شعرهم، ولما كان القيرواني شاعر، فإنّه يدخل تحت طائلة الشعراء الذي عليهم أن يلتزموا بهذه الأحكام النقدية في إبداعهم، حتى لا يدخل في زمرة من يدعو إلى شيء، ويفعل خلافه.

- يحاول أن يبرز قدرته على صناعة الأدب والشعر، والقدرة على تجويده، وتمثل حدوده في شعره، كشكل من أشكال المنافسة بين الشعراء عامة، والمنافسة بين الشعراء المغاربة والشعراء المشاركة، دفعا لشبهة أن الشاعر المغربي إنما هو شاعر مقلد لا يستطيع الخلق والإبداع.
- أن هذا التمثل لقضاياه النقدية في شعره، هو ضرب من التعليم والتوجيه الذي يضطلع به الناقد تجاه المبدع، وكأنه يقدم نماذج شعرية، أو أمثلة على أحكامه النقدية، ورؤاه الفنية الجمالية.
- يتميز شعر ابن رشيق بأسلوب ولغة رائعة مفهومة سلسة نراها قد قيلت في القرن الرابع، ولها في عصرنا وقع خاص.

الملخص

الملخص باللغة العربية:

ابن رشيق علم من أعلام النقد العربي القديم استطاع أن يجمع بين النقد والشعر في كتابه العمدة كيف لا وهو ينظر للشعر ويجعل له أحكاماً نقدية، ويشري هذه الأحكام بأبيات شعرية بما جادت به قريحته، فكان هذا البحث يُضع شعره لهذه الأحكام والقضايا التي أثارها في كتابه. تميّز شعر ابن رشيق بدقة المعاني وسلاسة الألفاظ ومتانة الأسلوب، وهو بعيد عن الابتذال لأنّه من يقرأ لشعره، وإن لم يصلنا كاملاً يعرف بأنّ الرجل كان وصافاً متقناً لما يراه، فصوّر لنا حياة الترف التي عاشها في بلاط المعز إضافة إلى الأغراض الأخرى من مدح وثناء.. فكان شاعراً وناقداً بحق.

الملخص باللغة الانجليزية:

Ibn Rushik, a scholar of ancient Arab criticism, was able to combine criticism and poetry in his book "el omda", how he does gave grands at poetry and makes monetary judgments. He enriches these verses with poetic verses. ،

Ibn al-Raziq's poetry is distinguished by the accuracy of the meanings and the smoothness of the words and the durability of the style. He is far from the vulgarity because he who reads to his hair, and if he does not reach us fully, he knows that the man was a perfect man for what he sees. .. Was a poet and critic righ

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

المصادر:

- 1- ابن دحية الكلبي - المطرب من أشعار أهل المغرب - موقع الوراق - المكتبة الشاملة (تطبيق الكتروني النسخة 6688-3.5V).
 - 2- أبو العباس شمس الدين احمد ابن محمد ابن أبي بكر ابن خلكان، وفيات الأعيان - تحقيق د- إحسان عباس - دار صادر - بيروت لبنان - ج2
 - 3- أبو علي الحسن ابن رشيق القيرواني - أمودج الزمان في شعراء القيروان - تحقيق محمد العروسي المطوي وبشير البكوش - الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية الجزائرية.
 - 4- أبو علي الحسن ابن رشيق القيرواني - شرح وضبط د عفيف نايف حاطوم - العمدة في محاسن الشعر ونقده - دار صادر - بيروت - لبنان - ط1 - 1424 هـ - 2003 م.
 - 5- أبو علي الحسن ابن رشيق القيرواني: الديوان، شرح صلاح الدين الهواري/هدى عودة، دار الجيل، بيروت، لبنان.
 - 6- عبد الرحمن ابن خلدون - مقدمة ابن خلدون - موقع الوراق - المكتبة الشاملة (تطبيق الكتروني النسخة 6688-3.5V).
 - 7- عبد الواحد المراكشي - تحقيق محمد سعيد العريان "المعجب في تلخيص أهل المغرب" - الكتاب الثالث. ياقوت الحموي - معجم الأدباء - دار إحياء التراث العربي ج7 بيروت - لبنان 1179 هـ - 1669 م.
- المراجع:
- 8- إبراهيم أنيس - موسيقى الشعر - مكتبة الأنجلو المصرية - مطبعة لجنة البيان ط2.
 - 9- إحسان عباس - العرب في صقلية - دراسة في التاريخ والأدب - دار الثقافة بيروت لبنان ط2 - 1975 .
 - 10- أحمد بن محمد أبو رزاق - الأدب في عصر دولة بني الحماد - صدر هذا الكتاب عن دار الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية - 2007.
 - 11- بشير خلدون - الحركة النقدية أيام ابن رشيق المسيلي - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981.
 - 12- جمال محمد صالح حسن - الجهود النقدية والبلاغية عند العرب حتى القرن السابع الهجري - عالم الكتب الحديث - 2009.

- 13- حنا الفاخوري- تاريخ الأدب في المغرب العربي - دار الجيل بيروت- ط1-1996.
- 14- سعد بوفلاحة - دراسات في أدب المغرب العربي - منشورات بونة للبحوث والدراسات - ط1 2007 .
- 15- شوقي ضيف- تاريخ الأدب العريصر الدول والإمارات"- ج9 - دار المعارف -القاهرة.
- تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والأمارات:ليبيا، تونس، تنس، صقلية)- دار المعارف-القاهرة.
- 16-الشيخ كامل محمد محمد عويضة- ابن رشيق القيرواني (الشاعر البليغ)- دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان- ط1 1413هـ-1993م .
- 17-عبد الرحمن الجيلالي بن محمد - تاريخ الجزائر العام - ديوان المطبوعات الجامعية ج1 - ط7 .
- 18-عبد الرؤوف مخلوف - ابن رشيق القيرواني- دار المعارف بمصر سنة 1964 م .
- 19-عبد العزيز الميمني -النتف من شعر ابن رشيق وزميله ابن شرف القيروانيين -المطبعة السلفية ومكتبتها القاهرة-1343هـ .
- 20-عبد العزيز قليقطة- البلاط الادبي للمعز ابن باديس-دراسة تاريخية أدبية نقدية-دار الفكر العربي- مدينة نصر القاهرة-ط2.
- 21-عبد الله شريط - الأعمال الكاملة - ج1 ، منشورات السَّهل 2009م
- 22- تاريخ الثقافة في المشرق والمغرب-المؤسسة الوطنية للكتاب ط3-1983.
- 23-عمر بن قينة -أعلام وأعمال -من منشورات اتحاد كتاب العرب-من منشورات اتحاد كتاب العرب - دمشق2000م.
- 24-عمر فروخ - تاريخ الأدب العربي(الأدب في المغرب والأندلس إلى آخر عصر ملوك الطوائف)ج4- دار العلم للملايين ، بيروت لبنان، ط1-1981م
- 25-محمد حسين الخضر -موسوعة الأعمال الكاملة-(كتاب الخيال)- دار النوادر -سورية-لبنان - الكويت، ط1 2010م-1431هـ .
- 26-محمد زغلول سلام -تاريخ النَّقد الأدبي والبلاغي حتى القرن الرابع الهجري -الناشر منشأة معارف بالإسكندرية 2002.
- 27-محمد طمار- الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر-1983.
- 28-محمد طمار- تاريخ الأدب الجزائري القديم -الشركة الوطنية للنشر و التوزيع -ط1-1981.

29- محمد مصطفى أبو الشوارب-د/أحمد محمد المصري-قضايا الإبداع الفني -دراسات تحليلية في النقد العربي القديم ط1.

المواقع الإلكترونية:

30-دراسة في كتاب العمدة :موقع allofsoftwar.blogspot.com/2008/07/1.html

31-محمد فتح الله مصباح - مفهوم السوق الشعرية عند ابن رشيق-موقع شذرات -

تاريخ الاطلاع (<http://www.shatharat.net/vb/showthread.php?t=1211>)

يوم:08/05/2018 على الساعة:20:21مساء.

المجلات:

32-محمد شريف غانم-المصطلح العروضي عند ابن رشيق القيرواني-مجلة مؤتمر النقد، جامعة اليرموك-

الأردن، كتاب المؤتمر-2010.

الرسالات الجامعية:

33-بن قايد الصادق -البنية الإيقاعية في ديوان ابن رشيق-مذكرة لنيل شهادة الماجستير2010-

2011، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

الصفحة	العنوان
02	الاهداء
03	شكر وتقدير
05	مقدمة
08	مدخل: عصر ابن رشيق
09	الفترة التي عاشها ابن رشيق في الجزائر
09	الفترة التي عاشها ابن رشيق في القيروان
10	الفترة التي عاشها ابن رشيق في صقلية
11	الحياة الأدبية في عصر ابن رشيق
11	النشر
12	الشعر
13/12	النقد
15	الفصل الأول: كتاب العمدة و قضاياه النقدية.
15	حياة ابن رشيق.
16	أخلاقه
17	شيوخه
18	مؤلفاته
19	كتاب العمدة
20	أهم القضايا النقدية
20	الشعر
21	الموازنات والطبقات
22	حد الشعر

23	اللفظ والمعنى
25	الوزن والقافية
27	الطبع والصنعة
28	السرقاا الشعرية وماشاكلها
33	الفصل الثاني: شعر ابن رشيق في ميزان نقده
34	شعره في باب من وضعه الشعر ورفعه
35	شعره في باب المبدأ والنهاية والخروج
37	شعره في باب المثل السائر
38	شعره في باب التشبيه
39	شعره في باب التفسير وباب الاقتضاء والاستنجاز
41	شعره في باب العتاب و باب الوعيد
43	شعره في باب في الاعتذار
44	شعره في باب البلاغة
45	شعره في باب السرقاا وما شاكلها
47	شعره في باب الوصف
48	شعره في باب الجوايز والصلاا
49	اللفظ والمعنى
49	حد الشعر
50	الموازناا والطبقات
51	الطبع والصنعة
51	الوزن والقافية
55	خاتمة
58	الملخص
60	قائمة المصادر والمراجع

64	فهرس المحتويات
----	----------------